فاضل الربيعي

بنو إسرائيل وموسى لم يخرجوا من مصر

(إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة)

المجلد الأول

الكتاب الأول



بنو إسرائيل وموسى لم يخرجوا من مصر

(إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة)

The Israelites, Moses did not get out of Egypt

By: Fadhil alrubaiee

First Published in December 2016

BEIRUT — LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb
www.elrayyesbooks.com

ISBN: 978-9953-21-

الطبعة الأولى: كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٦

تصميم الغلاف والإخراج الفني: علي كمال الدين

المحتويات

مدخل

لم تكن هناك قط - في التاريخ القديم للمنطقة العربية - **مملكة كبرى** تدعى **مملكة إسرائيل**، لا في **فلسطين** ولا في أي مكان آخر. ولم يكن هناك قط، ملك أسطوري يدعى **سليمان** أو بطل يدعى **داود**، ولا وجود لملك مؤسس للمملكة **يدعى شاول بن قيس**. وبكل يقين، لم يعبر **داود نهرالفرات العراقي - السوري**، ولم تكن حدود هذه المملكة - بطبيعة الحال - تمتد من **النيل إلى الفرات**. كل هذه الصور لا أصل لها في التوراة. لقد اختُرِعَت صورة هذه المملكة الكبرى ولُفِّقَت طوال عقود وعقود، استناداً إلى صور خيالية أنشاها الكهنة اليهود. ومع ذلك كله، كانت هناك ذات يوم من التاريخ (**مملكة دينية صغيرة**) ظهرت في **أرض اليمن القديم**، أشبه **بالفاتيكان** (بضعة كيلومترات) عاشت في إطار مملكة كبيرة **هي مملكة سبأ. وهذه المملكة الدينية الصغيرة** (أو ما يُدعى المخلاف بالتعبير اليمني) **انقسمت إلى مملكتين: شمالية وجنوبية**، وذلك مع انقسام مملكة سبأ الموحدة إلى مملكتين: **سبئية في الشمال، وحميرية في الجنوب**. بكلام ثانٍ: انقسمت

مملكة إسرائيل الدينية الصغيرة إلى شمالية وجنوبية مع انهيار المملكة السبئية الموحّدة التي ولدت وعاشت في كنفها، ثم تحولت بفعل هذا العامل وعوامل أخرى كثيرة إلى مملكتين دينيتين صغيرتين في **الشمال والجنوب**.

هذا الكتاب هو الجزء الأول من مجلد أول يحمل عنوان (**إسرائيل المُتَخَيَّلة**)، ويتضمن عدة كتب تتناول أسفار التوراة الرئيسة، ويعقبه مجلد ثانٍ بالاسم نفسه ويتضمن أيضاً عدة كتب، كل منها تتناول سفراً من الأسفار المتأخرة.

المجلدان الجديدان هما استكمال لعمل سابق بهذا الحجم صدرا في عام ٢٠٠٧ بعنوان (**فلسطين المُتَخَيَّلة**). إن نظرية العمل الجديد تتأسس على الفكرة الآتية: إن (**إسرائيل المُتَخَيَّلة**)، أي التي لُفِّقَت صورتها واختُرِعَت في الدراسات الكتابية[١] ، ومن خلال البحوث التاريخية الاستشراقية ونتائج التنقيب الأثري في فلسطين - التي قام بها علماء ينتمون إلى تيار تقليدي يطابق ما يجده في باطن الأرض مع ما ورد في التوراة - هي إسرائيل مُتَخَيَّلة بحق، لأنها وُلدت من رحم تصوّر لا تاريخي، افترض دون أي دليل أركيولوجي أن المملكة القديمة كانت تمتد من النيل إلى الفرات، وأن داود عبر الفرات واستولى على حماه السورية، وأنه اجتاز الطريق من ضواحي دمشق في جديدة يابوس حتى صعد جبل صهيون واستولى على أورشليم.

وهذه صور خيالية لا أصل لها في النص التوراتي. وكما أن (**فلسطين المُتَخَيَّلة**) وُلدت من رحم تصور زائف يقول إنها هي أرض الميعاد القديم؛ فإن (**إسرائيل المُتخيَّلة**) وُلدت من رحم هذا التصوّر. لقد ولّد الخيال الاستشراقي تخيّلاً جديداً لمملكة لا يعرف عنها التاريخ أي شيء حقيقي.

سوف أقوم من خلال هذين المجلدين الجديدين، بإعادة بناء الرواية التاريخية عن إسرائيل القديمة، وتصحيح التاريخ الرسمي السائد، وتقديم البراهين الضرورية على وجود تلاعب مروّع في سرد التاريخ.

في ختام هذا المدخل سوف أؤكد النقطة الجوهرية الآتية: ما أقوم به اليوم، هو نقل الجغرافيا إلى التاريخ؛ فإذا كنت قد عرضت في مؤلفي (فلسطين المتخيّلة) نظرية تقول إن جغرافية التوراة هي جغرافية اليمن، فإنني أقدم اليوم نظرية مكملة تنقل هذه الجغرافيا إلى التاريخ اليمني القديم. وبذلك، لن يعود بوسع أي شخص الادعاء أنني أفتش عن تشابه بين أسماء الأماكن في التوراة وأرض اليمن. الأمر اليوم يتعلق بالتاريخ اليمني وليس بالجغرافيا. وفي سياق هذا العمل، سوف أقوم ببعض التعديلات الضرورية للأماكن التي وصفتها في مؤلفي السابق. في الواقع، لم يكن بوسعي- قبل عشر سنوات- تقديم تصوّر متكامل. وكما هو شأن كل نظرية، فإنها تتطور وتنضج أكثر فأكثر في سياق البحث الدؤوب. ما من نظرية تولد دفعة واحدة، وحل التناقضات المتشابكة والمعْقدّة في النص التوراتي، لن يكون ممكناً بفعل عمل سحري دفعة واحدة. إنه يتطلب عملاً متواصلاً وممنهجاً.

من جانبي، إن كل هذا لا هدف له سوى الحقيقة التاريخية.

ولغرض إعادة بناء الرواية التاريخية عن **إسرائيل القديمة**، فسوف يبدأ هذا المجلد بإعادة ترجمة **سفر الخروج** من لغته الأصلية العبرية، بعيداً عن الرواية المثيولوجية السائدة، وتقديم تأويل جديد لمنطق الرواية الديني، وفقط بوصف السفر سفراً دينياً لا تاريخياً. لذلك، واستناداً إلى معطيات

علمية وتقصٍ ميداني في المسرح التاريخي الحقيقي، فسوف أقدم تصوّراً مختلفاً ومغايراً يُعيد تفكيك اللغز المحيّر.

لدينا في هذا السفر ثلاثة ألغاز كبرى: **أين تقع مصر التوراتية؟ وما هي حدود (أرض كنعان)، وهل هي جزء من أرض مصر هذه؟ وأين تقع (أرض الميعاد)؟** هذه الألغاز التي جرى التلاعب بها، يمكن تفكيكها بسهولة حين نعيد ترجمة النص، ونعيد وضعه في بيئته التاريخية: اليمن.

دون ذلك، لا يمكن بأي صورة من الصور فهم (سفر الخروج)، وهذا ما سنقوم به في الكتاب الأول من المجلد الأول.

فاضل الربيعي

روتردام (هولندا) ٢٠١١،

القاهرة – عمان – صنعاء ٢٠٠١٣،

دبي ٢٠١٤

Fadhilalrubaiee@gmail.com

توضيحات لغوية للقارئ

من أجل فهم أعمق للنصّ التوراتي، واستناداً إلى تجربتي العلمية والميدانية في فهم النص العبري وترجمته، لا بد من تسجيل الملاحظات اللغوية الآتية:

١ : إن **اللغة العبرية** التي كُتب بها النص - وهي برأيي ليست لغة بالمعنى العلمي - تُدعى اليوم رسمياً في **إسرائيل** (**العبريّة الصّنعانية** Sananite Hebrew) أو (**العبرية السبئية**)، وهو أمر يدلّ بنحو قاطع على أن إسرائيل، واليهود عموماً، يعرفون أن أصل لغتهم وجذورها هناك في اليمن، وليس هنا في فلسطين وحتى اليوم يتكلم اليهود اليمنيون العربية كلغة دائمة والعبرية كلغة دينية، وهم يتميّزون عن سواهم في طريقة نطقهم للكلمات العبرية، فهم يضيفون الأحرف العربية مثل الثاء والجيم والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والغين، وهي حروف لا وجود لها في العبرية. كذلك فإنهم عند الكتابة يضيفون نقطاً إلى الحروف العبرية. ويُعرف اليهود اليمنيون أيضاً بجمال تلاوتهم للتوراة، من حيث النطق السليم للحروف العبرية بإضافة اللحن اليمني.

٢: ما يؤكد الصلة بين **السبئية القديمة والعبرية**، أن هناك تماثلاً لا حدود له في المفردات والكلمات وفي رسم الحروف (الحرف المربع) وسأعطي هذا المثال لأغراض دراسية لا أكثر: في النقش السبئيّ المعروف باسم نقش جام (جام ٦٤١) نقرأ النص الآتي:

(الكاهن أشوع وبنهُ أبكرب بنو صعقن، هقنيو ألمقه ثهون بعل أوم صلم (ن) بن غنمهمُ ذغنمو بن قرية (م)، بكن سبأو لشوعن مرأهمُ شعر (م) أوتر ملك سبأ وذريدن).

وترجمته:

(**قشن أشوع**[٢] **وابنه أبكرب** بنو صعقان. **القس اقنوا** (أهدوا) الإله المقه الصنم الذي جلبوه من قريتهم (بِ ك أن- البكا، والنون هنا أداة تعريف متأخرة) بعد أن سبوا (**سَبَأوا** - غزوا) ونصروا أميرهم شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان.

في هذا النص السبئيّ نلاحظ أن اسم أحد القائدين هو **القس يشوع** (قشن - قسن أي القس، لأن النون أداة تعريف)، كذلك نقرأ كلمة **ها - قنيو**. وهذه الصيغة نجدها في التوراة في النص الآتي من **سفر التكوين**:

(ويوصف - ها - ورد - **ويقنهو** - فوط - يفار - مصريم - فرعه - سر - **ها - طبحيم**) وترجمة النص العبري تقول ما يأتي: **ويوسف** وصل إلى **مصر فاقتناه فوطيفار كبير حراس الفرعون (سفر التكوين: ١٣ : ٣٩ : ٢٤ :٣٨).**

ها هنا الكلمة ذاتها العبرية - السبئية: يقنهو - أقنوا (اقتناه - أخذه، امتلكه) ولنلاحظ كيف تحولت الياء إلى همزة (يقنهو - أقنوا). وفي العربية: اقتنى.

هذا النموذج هدفه تأكيد الصلة العضوية بين العبرية والسبئية، وأن تقاليد الكتابة حسب طرائق التصويت، تنبثق من بيئة ثقافية تاريخية واحدة، وأن ما أفتش عنه أبعد ما يكون عن مجرد تماثل في أسماء الأماكن. لذلك، سأرجو من القرّاء غير المتخصّصين مرة أخرى، أن **يكفّوا عن المزاعم** بأن الأمر يتعلق بمسألة تماثل في أسماء الأماكن بين النص التوراتي وجغرافية اليمن، لأن هذا ادعاء لا أصل له؛ فأنا لا أفتش عن التطابق في أسماء الأماكن، بل عن بيئة تاريخية – دينية قديمة. لقد خضعت كتابة و(تحرير النصوص الدينية) التوراتية لتقاليد التصويت حسب المناطق والأماكن التي جرى فيها التدوين. مثلاً، لو كان الكاهن اليهودي صنعانيّاً – من صنعاء – فإنه سيُضيف النون تلقائياً إلى أيِّ اسم ينطقه، وهو يقوم تلقائياً أيضاً، برسم الاسم بحسب طريقة نطقه، فيرسم – مثلاً – اسم معفر في صورة معفرن، تماماَ كما يقول في صنعاء صنعن. وعرب عربن. هذه النون القديمة هي الأصل في أداة التعريف العربية (ألف لام) عربن: العرب، عدنن، العدن... إلخ. ولو كان الكاهن محرّر النص حضرمياً – من حضرموت – فسيضيف السين إلى الاسم منفرداً أو مضعّفاً س+س، ويرسمه كما ينطقه مثلاً، سيرسم الاسم **رعمه** في صورة **رعمسس** (أي س+س). وهذه السين حرف لاصق يُنطق ولا يكتب، ويمكن إسقاطه.

٣: إذا كان اسم الموضع أو المكان في النص العبري مذكراً، فسنجده في صيغته العربية في صورة اسم مؤنث. والعكس صحيح. وهذا في أصل التقاليد التصويتية في لهجات اليمن، فهم يقولون في وادي بيش – بيشة. وكمثال على ذلك، إذا وجدنا اسم موضع في النص العبري يدعى (صفون)، فهو (صفونة) بصيغته العربية. وهذا أمر جدير بالانتباه من جانب قارئ هذا الكتاب، ويجب أن يلاحظه وهو يتتبع الجغرافية البديلة التي يطرحها.

٤ : تشترك السبئية والعبرية في استخدام أداوت تعريف قديمة: الهاء، التاء، الياء، النون، الميم. فإذا كان اسم الموضع في العبرية **يعرم أو تعرم**، يجب أن يقرأ في العربية في صورة **العرم**. وإذا كان الاسم ينتهي بحرف النون مثل **حورون، فهو الحور**.

٥: تعتمد العبرية على قاعدة استعمال الياء والميم للتثنية والجمع، مثل: **ءنشي: ءنشيم** (رجل، رجال، رجلان). لكننا نجد في النص العبري من التوراة بعض المفردات التي يستعمل فيها حرف الميم منفرداً دون الياء (مثل: **شخص: شخصم، أي الشخص**). وفي هذه الحالة يكون حرف الميم هو أداة التعريف. وبذلك تشترك **الحميرية** (لغة يهود الجنوب) مع العبرية في الاستخدام المتنوع لحرف الميم، فهو يمكن أن يستعمل بديلاً من النون، مثلاً: **مصريم – مصرين**. إن الأصل في الميم المنفردة في نصوص التوراة، سواء جاءت في أول الاسم أو في آخره أو في وسطه، هي الميم الحميرية التي استخدمت كأداة تعريف منقرضة في وقت ما من تطور لهجات اليمن، ومنها اللهجة العبرية. مثال: في اسم أم القيوين، أم السماق، أم القيس، وهذه أسماء مدن وقرى معروفة في الخليج والأردن؛ فإن الميم هنا هي ألف ولام: القيوين، السّماق، القيس. الخ، ذلك أن الحميريين يقولون في الرجل: أم–ءم– رجل، وفي البعير أم –ءم بعير.

هذه ملاحظات عامة للغاية الغرض منها، تنبيه القرّاء إلى الصيغ والتراكيب اللغوية المعقدة في النص التوراتي، وسأعطي في السياق المزيد من هذه التوضيحات.

ملاحظات أساسية حول النصّ

هناك **مُلاحظتان جوهريّتان،** قد يُتوقَّف على فهمهما واستيعابهما إلى حدّ بعيدٍ، فهمنا للقصة الأسطورية المسمّاة **(الخروج من مصر)**.

وثمة في السياق تنويهات ضرورية للقرّاء غير المتخصّصين.

أولاهما: أن التاريخَ المكتوب والمتحقَّق، لا يعرفُ أيَّ شيء عن حدث يُسمى في السرديّات التاريخية والدينية عادة **(خروج بني إسرائيل من مصر)**. لم يكن هناك في أي يوم من التاريخ قط، هروب جماعي **لبني إسرائيل** عبر سيناء **مصر صوب فلسطين،** والقصة التي تسردها التوراة لم تقع في **مصر البلد العربي بكل تأكيد**. لقد باءت بالفشل كل جهود علماء الآثار حين بحثوا في **سيناء** عن أي أثر لهذا الخروج. كذلك إن الإسرائيليين أنفسهم فشلوا في أعقاب حرب ١٩٦٧ في الحصول على أي أثر، حين أرسلوا نحو ٤ آلاف عالم بين منقّب ومتخصص في البحث الأركيولوجي، فحصوا كل حبة رمل في سيناء، فلم يجدوا أي أثر للخروج أو التيه؟ وهذا برأينا كافٍ

من الناحية العلمية، لرفض أي محاولة لتصوير القصة الدينيّة كحدث تاريخي.

ثانيهما: أن القصة برأيي – وهذا ما سوف أبرهن عليه في هذا الكتاب – تدورُ في نطاق هجرةٍ دينيّةٍ ذات طابع طقوسيّ، لجماعة اعتنقت شرعةً مخالفة لشرعة جماعات أخرى وثنية كانت تعيش معها. والأسفار التي تسرد قصة الخروج (سفر الخروج، العدد، التثنية) تؤكد لنا بقوة، أن هذا الحدث هو في حقيقته هجرة دينية طقوسية لتقديس أماكن ومواضع عبادة بعينها، ولم تكن هروباً من ظلم الفرعون وحسب. وفي هذه القصة تكرار نموذجي لهجرات رمزية سابقة، مثل هجرة **نوح** وقطيعته مع قومه، حيث يتبدى الطوفان شبيهاً بما يدعى التيه اليهودي في الصحراء، أو مثل هجرة **إبراهيم** من **أور الكسديم אורכשדים إلى مكان يدعى مصر**، أو القصة الأسطورية عن هجرة **يونس** (يونه في التوراة) إلى مكان يدعى **نينوى بعد** أن ابتلعه الحوت رمزياً لثلاثة أيام... إلخ إلخ.

لقد كان أي بحث عن أثر لهذه الهجرات في جغرافية **مصر**، أو عن أثر لسفينة **نوح** في جبل **أرارات في تركيا** نوعاً من العبث سيظل محكوماً بالفشل الذريع، وشبيهاً بالبحث عن (**حوت يونس**) **في مدينة لا تطلّ على بحر وليست قريبة من بحر** بكلام آخر، ليست قصة الخروج حدثاً تاريخياً. والأدّق، أنها حدث دينيّ طقوسيّ تلازم مع ولادة شرعة دينية. وهو أمر يكاد يذكرنا بهجرة **محمد من مكة إلى يثرب**، بوصفها تجسيداً لولادة الإسلام.

لكل نبيّ أو بطل أسطوريّ هجرته، وخروج **موسى** – من هذا المنظور – هو (هجرته) التي ولدت بفضلها جماعة بشرية جديدة داخل

الأسباط الإسرائيلية، سوف تُعرف باسم شرعتها أو دينها، أي الديانة الإسرائيلية – الموسوية.

يبقى هنا أن أوضح الأمر الآتي، وهو مهمٌّ للغاية للقرّاء غير المتخصّصين:

لقد درج عامة الناس وكثرة من الكتّاب على الخلط بين **بني إسرائيل** كجماعة دينية موحّدة، وبين **اليهودية** كدين أو شريعة دينية، ويعدّونهما شيئاً واحداً؛ فعندما يقال (**بنو إسرائيل**) ينصرف الظن إلى اليهود واليهودية، وعندما يقال (اليهودية) ينصرف الذهن إلى بني إسرائيل. وهذا خلط مدمّر وغير صحيح، لا تاريخياً ولا منهجياً، ذلك أن **بني إسرائيل** القبيلة والجماعة الدينية التي قادها موسى نحو ١٥٠٠–١٣٠٠ ق.م في ما يدعى (الخروج) لم تكن تعرف اليهودية أو سمعت بها. ولا يوجد في (الأسفار الخمسة الموسوية) أيُّ كلمة أو إشارة إلى اليهودية كدين، أو أن بني إسرائيل كانوا يهوداً إنها الدين الذي ظهر تالياً مع تأسيس الملكية ثم انشقاق المملكة إلى مملكتين، حيث تبلورت مع الأسفار التي أضافها الكهنة اليهود بين ٧٠٠–٥٠٠ق.م.

لقد كانت الموسوية – نسبة إلى موسى – هي الشرعة الأولى للجماعة الإسرائيلية، وهم اعتنقوا معتقداتها التوحيديّة المؤسَّسة على عبادة الإله (**يهوه**). واسم هذا الإله الذي أثار الكثير من الأسئلة حتى اليوم، هو اسم الإله الأعلى المتسامي الذي لا يجوز ذكر اسمه، فيكنى، أو يشار إليه باسم الإشارة (**هو**). لذلك، فالاسم يهوه هو ذاته اسم الإشارة (**هو**)، ولكن مرسوماً على جري عادات اليمنيين القدماء الذين يضيفون إلى الاسم حرف الياء اللاصق، المستخدم كأداة تعريف منقرضة في صورة (**يهوه**) مثل: **يعرب في عرب**، **يكرب في كرب**، **يثرب في ثرب**... إلخ.

وهؤلاء اصطدموا في وقت مبكر مع جماعة إسرائيلية تُعرف باسم (**السامريّين**) كانت ترفض الاعتراف بأي نبوّة بعد موسى، لأنها اعتبرته خاتم الأنبياء. لذا، دخلت هذه الطائفة في صراع مرير مع الكهنة بعد موت موسى، وظلت متمسكة بالأسفار الخمسة باعتبارها هي التوراة الأصلية.وهم يعرّفون أنفسهم كأصحاب ديانة (إسرائيلية)، ولا يقولون عن أنفسهم إنهم يهود، بل إن اليهود اليوم لا يعدّونهم يهوداً. والديانة الإسرائيلية ديانة عربية قديمة سبقت ظهور اليهودية بنحو ٨٠٠ عام على الأقل، فهي دين بني إسرائيل الذين مجدّهم القرآن وميّزهم عن اليهودية؛ بينما أخذت اليهودية اسمها من اسم السبط الأكبر **يهوذا - هوده** (يهوذه - بحسب الرسم اليمني للأسماء) بعد انشقاق مملكة بني إسرائيل في عهد رحبعم بن سليمان، وبعد قيام ما يعرف بـ (مملكة يهوذا) نحو ٩٠٠- ٨٥٠ ق.م. أي إن الفارق الزمني بين ظهور الديانة الإسرائيلية والدين اليهودي يرقى إلى نحو ٨٠٠ عام.لكل ذلك، لا علاقة بين اليهود وما يُدعى (خروج موسى من مصر). إنهما أمران منفصلان، لأن الجماعة التي هاجرت معه كانت جماعة إسرائيلية (بنو إسرائيل)، وهؤلاء لم يكونوا يهوداً أو يعرفون اليهودية. وبطبيعة الحال لا توجد أي إشارة في قصة الخروج إلى دين يهودي

كل ديانة، من منظور رمزي، تمثُل نوعاً من هجرةٍ (أو قطيعة روحية) مع عالم قديم لم يعد ممكناً التعايش مع قيمه ومعتقداته وأفكاره، ولكن العالم الجديد المنشود في الآن ذاته، لا يمكن بلوغه أو الانتقال إليه، إلا بتحويل الهجرة نحوه إلى ممارسة طقوسية متواصلة تتكرر كل عام. وهذا هو برأينا جوهر فكرة الحجّ الموسويّ الأول الذي سنّه موسى في

ما يعرف بـ (الخروج). وهو برأينا فهم يتطابق مع نص الآية القرآنية عن إسراء موسى بقومه (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ** – الشعراء ٥٢). إن ما يدعى (**سفر الخروج**) **هو سورة توراتية عن إسراء موسى**. لذلك، ليست قصص وأساطير الهجرات في الكتب الدينية والمرويات، أحداثاً تاريخية يمكن البرهنة بالأدلة الأثرية على وقوعها. إن قراءة نزيهة وموضوعية خالية من أيّ مخيال استشراقي لقصة الخروج، ومن هذين المنظورين فقط، ستؤكد أن الحدث لم يقع في **مصر**، كما تؤكد لنا أنه كان رواية عن هجرة دينية طقوسية. وهذا ما سوف يساعدنا في تفكيك اللغز.

هذا الكتاب يثير بقوة **مسألة الخروج الإسرائيلي وأرض الميعاد**، ويبرهن بالدليل القاطع أنّ فهم القصة تعرض للتلاعب، فلا موسى وشعبه ضاعوا في الصحراء، ولا كانوا عبيداً اشتغلوا في بناء الأهرامات المصرية على ما يشاع في الروايات الاستشراقية السقيمة فهل يتعارض هذا التصّور مع القرآن؟ سوف يقول كثرة من المسلمين إن هذه الأفكار والتصوّرات والأسئلة تتعارض مع نصّ **القرآن** الذي ذكر اسم **سيناء**

وقد تسنّى لي أن أقرأ وأسمع هذا القول يتكرر في نقاشات رجال الدين، وحتى على ألسنة أساتذة جامعات في أقسام التاريخ القديم. وجوابي في كل مرة كان على النحو الآتي: إن **القرآن** لم يذكر قطّ اسم **سيناء في هذه القصة**، ولكن الاسم ورد في آية أخرى لا علاقة لها بالخروج الإسرائيلي هي آية (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وهي آية لا تشير إلى خروج إسرائيلي أو ما شابه. وكل ما يزعم في هذا النطاق من

الفكرة، هو وهمٌ ناجمٌ عن تفسيرات مُضلّلة للنصّ القرآني تخلط بين (**طور سينين**) وطور **سيناء**؟ وأنا أدعو القرّاء للعودة إلى السور القرآنية للتأكد ممّا أقول، فالنّص يتحدث عن أمر آخر[٣]. وهذا الوهم سوف أكشف عنه بأدقِّ العبارات والأدلة وأوضحها. وبكل يقين، لا القصة القرآنية ولا التوراتية، عن خروج موسى، تشيران إلى **سيناء**. ومن العبث الإصرار على أن (**سينين**) تعني **سيناء**، لأن سياق الآية مبنيّ على القسم بمكان له قداسة خاصة، هو **جبل سينين (والتين والزيتون وطور سينين)**. وهذا مكان لا رابط بينه وبين **مصر**، ونص الآية واضح تماماً، فهو لا يشير إلى صحراء، أي لا يتضمن أي وصف لرحلة خروج. وبالضد من ذلك، يشير إلى مكان آمن ازدهرت فيه زراعة التين والزيتون وهذان توصيفان يتعارضان مع ما يزعم أنها توصيفات قصة الخروج للتيه في صحراء قاحلة، حيث لا ماء ولا شجر؟

إن نظرية هذا الكتاب تقوم على الفكرة الجوهرية الآتية:

إن ما يدعى (خروج موسى من مصر) هو قصة دينية عن (إسراء موسى بقومه) بحسب النصّ القرآني. وهذا حدث ديني وليس حدثاً تاريخياً حقيقياً، كان الغرض من سرده تبيان ظروف **الحجّ الأول الذي سنّ سنته بنو إسرائيل**، وإظهار معنى الشقاء والجوع والعطش والخوف وأهوال الطريق التي تصادف المؤمن. **إن أرض كنعان** التي وعد بها الرّب **بني إسرائيل**، هي جزء من **أرض مملكة المعينيين** الذين كتبوا نصوصهم الدينية بلهجة خاصة بهم عرفت باسم **شفة – لسان كنعان**، بحسب توصيف التوراة (من الفعل كنع بمعنى خنع: أي الخاضع للرب، أي من أسلم، حنف، إلخ). وفي التوراة، ثمة ما يشير إلى أن **بني إسرائيل** كانوا يتكلمون بـ (**شفة كنعان**– لسان كنعان) بما يعني أن ما

يُسمى العبرية، هو **لهجة دينية تنتمي إلى أسرة اللهجات الدينية اليمنية القديمة** التي دوّنت فيها النصوص التعبّدية (الصلوات في المعابد).

ولو أننا وضعنا التوراة والشرعة الموسوية القديمة ضمن التاريخ اليمني، ففي هذه الحالة، يجب أن نلاحظ النسق التاريخي بدقة أكثر، ففي هذا العصر الذي أخفق فيه **موسى** في دخول أرض الميعاد، كان **المعينيون** (الكنعانيون) في ذروة قوتهم وسيطرتهم على اليمن. لقد سيطروا ابتداءً من **منطقة الجوف وصولاً إلى السواحل في حجة** (ميناء مدي) **والحديدة** على البحر الأحمر (نحو ١٥٠٠ق.م). أي أنهم في هذا العصر كانوا في ذروة صعود مملكتهم التي سوف تعرف باسم **مصر - مصرن**، حيث تعاظم نفوذهم السياسي والاقتصادي في المنطقة. ولم يكن **بنو إسرائيل** في هذا الوقت سوى جماعة يمنية رعوية انشغلت بأمور الرعي والعبادة، ولم يكن لها أي تأثير أو مكانة بين القبائل القوية. وفي حدود ٨٥٠ ق.م، أي بعد مرور ما يقرب من ٦٠٠- ٧٠٠ عام، تمكن السبئيون (الصنعانيون) من دحر هيمنة **مملكة الجوف**، وأسّسوا أول **مملكة يمنية موحّدة**، بسطت سيطرتها تدريجاً بالقوة الغاشمة على أجزاء واسعة من اليمن، وعرفت باسم **مملكة سبأ**. وفي هذا الوقت (الدور السبئيّ الأول) ظهر **المكاربة** (الكروبيم)، وظهر إلههم المركزي الإله **(المقه)** بديلاً من **إله المعينيين (ود)**. كان الإله ود، إله المعينيين الكنعانيين، يمثل رمز الإله **الأب والابن**. وهذه يمكننا أن نراها في متلازمة **الأب والابن** في أساطير **إبراهيم وإسحق، إبراهيم وإسماعيل، داود وسليمان**، إلخ. وهناك ما لا يُعَدّ ولا يُحصى من النقوش التي تؤكد وجود هذه العبادة المركزية في اليمن. وهذه سوف تكون الأساس الذي بُنيت عليه العقيدة المسيحية.

بكلام آخر، ظهرت هذه الشخصيات اللاتاريخية تجسيداً لعقيدة مركزية قديمة تقوم على مبدأ عبادة **الأب - الابن**. وكما يتداول المسلمون اليوم **إخبار إسماعيل** وبطولاته ومآثره في بناء الكعبة - البيت الحرام - أي المقدس، يتداول اليهود **إخبار داود** وبطولاته ومآثره في بناء **بيت الرب** المقدس. وكما أن المسلمين يؤمنون بأن **إسماعيل استكمل ما قام به والده إبراهيم في الكعبة، يؤمن اليهود بأن سليمان استكمل بناء بيت الرب الذي بدأ به والده داود. وإذا ما نظر المسلم** إلى المدوّنات الإخبارية القديمة عن **الكعبة**، وكيف أنها كانت في السماء، وأنها نزلت إلى الأرض وهبطت في **مكة**، وهي اليوم بإزاء العرش السماوي - مع أنها لم تكن سوى بيت عبادة بسيط في مدينة لا يعرف التاريخ عنها أي شيء - وفقط، بوصف هذا النوع من السرديّات الدينية استطراداً وتواصلاً في تقاليد سردية أقدم؛ فإنه سوف يرى فيها مدينة خيالية من تلفيق مسلمي العصر الأموي والعباسي. وكما **أن الكعبة لم تهبط من السماء؛ فإن أورشليم لم تهبط من السماء**، وهما معاً ليستا أكثر من بيتي عبادة جرى تضخيم مكانتهما لأغراض التعليم الديني.

وابتداءً من هذا العصر، **٨٥٠-٦٥٠ ق.م ومع صعود الملوك المكاربة في الشمال والجنوب، وتراجع قوة قبائل الجوف وحضرموت** بدأت المخاليف (الممالك الصغيرة) تظهر في اليمن، كتعبير عن نوع من **توزيع للسلطة المركزية بين الجماعات المختلفة**، فراحت كل قبيلة أو (تحالف قبلي) تنشئ مخلافها الخاص بها، وتديره ذاتياً من دون التعارض مع سلطة **الملك - الكاهن** الأعلى **(المكرب)**.

وفي هذا العصر ظهر **مخلاف بني إسرائيل** سوية مع ظهور مخاليف القبائل الأخرى التي زاد عددها على ٨٠ مخلافاً (مملكة صغيرة). الفارق الجوهري بين هذه المخاليف - الممالك الصغيرة، يكمن هنا، أن **بني إسرائيل** أسّسوا مخلافاً (**مملكة دينية** صغيرة) **أشبه بالفاتيكان، وكانت عاصمته أورشليم (المدينة المقدسة)**. وكما أعاد الكهنة جمع التوراة وتصنيف آياتها وتصنيفها وترتيبها، بالحذف والإضافة والتعديل استناداً إلى روايات شفوية ومدوّنة، جرى بشكل منتظم ومنهجي، تضخيم سرديّ للأحداث والوقائع، لم يكن ليخلو من المبالغة الدينية ومن التلفيق، وحتى من اختلاق شخصيات جذابة مثل **سليمان وداود، وهما شخصيتان لا تاريخيتان أي لا وجود حقيقياً لهما، ولكنهما تمثلان فكرة دينية - رمزية عن عبادة الإله الأب والابن**. لقد لفق الكهنة، مع انتشار العقيدة اليهودية بعد موت الشريعة الموسوية إثر انشقاق مخلاف إسرائيل إلى مخلافين، سرديّة مثيولوجية لا أساس لها في التاريخ، جرى فيها تضخيم صورة هذا المخلاف (المملكة) بشكل أسطوري يفوق كل خيال. وبذلك جرى الاستيلاء على التاريخ الرسمي لمملكة سبأ نفسها، وتمّ في هذا السياق التلفيقي تنسيب كل معارك السبئيين ضد المعينيين إلى بني إسرائيل، فأصبح **كرب إيل وتر بن ذمر علي** - ٦٥٠ ق.م - مكرب سبأ العظيم الذي تخلى عن الكهانة وتفرغ للملكية، **ملكاً إسرائيلياً باسم داود** (بالعبرية دود - ذو ودّ).

وإذا كان مسرح الحدث الدينيّ هو مسرح يومي خالص، والوقائع التي رافقت الهجرة الدينية من طقوس وشعائر وتقاليد، ذات صلة تاريخية حميمة بالراسب الثقافي في اليمن، فإن المعطيات والأدلّة الجغرافية، تصبح - في هذه الحالة - موضوعاً يتخطّى ويتجاوز مسألة وجود تماثل أو تشابه في

الأسماء. شخصيّاً، لا أكاد أجد أدنى مبرر لإهمال هذا الجانب الحيوي، ولذلك، ومرة أخرى سأعيد تأكيد **النقطة الآتية:**

أنا لا أفتش عن تشابه أسماء بين الأمكنة والجبال والقرى والوديان، كما قد يتصور البعض. ما اقوم به – على وجه التحديد – هو إعادة وضع التوراة في بيئتها التاريخية والثقافية القديمة، أي في المسرح اليمني، وقطع كلّ وأيّ صلة مزعومة بينها وبين فلسطين. إن مشهد صعود **موسى** إلى قمة **جبل عباريم،** ليموت هناك بأمر الرّب كما مات هارون في **جبل هور** يجب أن يُنظر إليه على أنه مشهد دينيّ رمزيّ سجله الكهنة المتأخرون، تعبيراً عن لحظة موت **الشرعة الموسوية**. وبكل تأكيد، ففي هذا العصر، لم تكن **الشرعة الموسوية شرعة يهودية**. والأدقّ أنها شرعة **دينية من شرائع بني إسرائيل اقترنت بفكرة تجسيد المخلّص، وظهوره لقيادة الشعب في طريق الخلاص. أما الدين اليهودي، فلم يصبح ديناً إلا في وقت متأخر منسوباً إلى السبط الأكبر يهوذا** (هود في القرآن – بإسقاط الياء اللاصقة). وبموت موسى الرمزي فوق الجبل، تكون السلطة الدينية قد انتقلت كلياً إلى **الكهنة.** وهؤلاء من سوف يؤسس لدين جديد هو **اليهودية، محتفظاً** بمبادئ الشرعة القديمة وقواعدها.

إن التأمل في طقوس **ذبح الثيران في الخروج** – ما عرف خطأ بالخروج هرباً من الفرعون المصري – ومقاربتها مع طقوس وتقاليد النحر في الوادي وليس في قمة الجبل أو المعبد، خلال العصر **المكربي الأول،** تعطي الانطباع بأنها محاكاة لتقاليد أقدم عرفها اليمن، وتتصل بقواعد تقديم الذبيحة في المعابد الوثنية ولا علاقة لها بالموسوية. أي لا علاقة لها بالديانة الإسرائيلية

الأولى. وفي هذا الإطار التاريخي، اختلطت المرحلة الرعوية الطويلة في حياة الإسرائيليين، وشعائر وطقوس التعبّد لإله واحد، مع تقاليد وشعائر التعبّد الوثنية. وذلك ما يفسّر لنا على أكمل وجه، القصة التوراتية – القرآنية عن (**عجل الخطيئة**) حين ظهر السامريّ وغيّر الشرعة الموسوية، وأعاد تقاليد التقرّب إلى **الإله العجل**.

وفي الخلاصة يجب التشديد على النظرية التي يطرحها هذا الكتاب بأجزائه المتعدّدة، وهي:

إن التاريخ المكتوب، والمتحقّق لا يعرف **مملكة إسرائيلية كبرى أو خروج موسى من مصر، كما لا يعرف داود وسليمان وشاول** إلخ. لقد لفق الكهنة – خلال حقبة انهيار **مملكة معين مصرن** – على أيدي **المكاربة السبئيين**، سردية دينية مثيولوجية، نسبوا فيها كل ما **فعله المكاربة** إلى **شخصيات دينية إسرائيلية لا وجود لها في التاريخ**، ولكنها سوف تعرف بفضل هذا التلفيق الذي واصله الكهنة بكونها شخصيات (يهودية) أو (من بني إسرائيل). ثم في وقت ما من التاريخ المتأخر، طوّر الكهنة اليهود في اليمن هذه السرديّة، بإضافة ما يزيد على ٣٠ سفراً، كلها تروي بشكل أسطوري بطولات أنبياء وملوك، اتخذوا أسماءً لا يذكر التاريخ المكتوب عنها أي شيء، وهي في الأصل شخصيات من **التاريخ السبئي**، ولكن بعد نسبته إلى مملكة **إسرائيل المُتَخيَّلة**.

لقد ولدت مملكة **إسرائيل المتخيّلة من رحم فلسطين متخيّلة**. أي إن صورة إسرائيل كمملكة ولدت من تخيّل أرض فلسطين كأرض ميعاد يهودي فما دامت فلسطين هي أرض الميعاد، كما تزعم الأسطورة الراهنة،

ففي هذه الحال، يجب أن تكون هناك مملكة إسرائيلية كبرى قامت على أرضها. وهكذا، جرى تلفيق صورتها في المخيال اليهودي الاستشراقي، ثم قام جيش من علماء الآثار وكتّاب التاريخ على امتداد عقود وعقود من السنين، بتطوير هذه الصورة المُتخيَّلة والزائفة وتقديمها على أنها تاريخ حقيقي. وهذا ما لا أساس له.

الهوامش

(١) كتابية من كلمة الكتاب المقدس

(٢) أشوع، ويشوع، ويشع في التوراة وفي نقوش المسند تعني (كاهن). ومن هذا الجذر جاء اسم يشوع- يسوع بمعنى : المشّع، المنير، إله النور الخ.

(٣) «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ* لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» [التين:١-٦]

الفصل الأول

مشكلة سيناء

والآن: هل خرج بنو إسرائيل من **مصر**، كما يخبرنا **سفر الخروج** في التوراة؟ حقاً، ومتى حدث ذلك؟ لكن، **هل عاش بنو إسرائيل في مصر أصلاً، حتى يخرجوا منها؟** كيف، ومتى دخلوها؟ وإذا ما عاشوا هناك لأكثر من ٤٣٠ عاماً، كما تخبرنا القراءة المزيفة لنصوص التوراة بوصفهم عبيداً عند **فرعون**، فلماذا لم تذكر السجلات المصرية عنهم أي شيء؟ وكيف يمكن تصديق أن هذه السجلات التي دوّنت كلّ شاردة وواردة - حتى أنها سجلت وقائع بيع وشراء الحيوانات - أغفلت فجأة دون أدنى مبرر، ذكر وجود آلاف العبيد الثائرين الذين سوف يقودهم **موسى** في رحلة خروج كبرى انتهت بغرق الفرعون في البحر؟ وكيف يمكن تفسير إغفال المصادر المصرية القديمة واقعة خروج شعب، بلغ تعداده نحو مليون شخص بين رجل وامرأة وطفل، مع مئات آلاف المواشي والحيوانات بحمولاتها الثقيلة من

الأمتعة والطعام، كما تساءل **شلومو ساند**؟[1] لكن، هل وقع هذا الحادث في (**أرض مصر**) البلد والإقليم المعروف؟ وهل تاه (وضاع) الهاربون في صحراء **سيناء**؟ وهل ذكرت **التوراة** أصلاً اسم **سيناء**؟

في الواقع، لم تذكر **التوراة** اسم **سيناء** ابداً، وهي لا تقول إن العبيد – وهم يفرون من وجه **فرعون** – تاهوا في الصحراء لا بد أنّ الأمر برمّته يتعلق بالتباس ناجم عن ترجمة خاطئة وفهم خاطئ للاسم وإذا كان الحدث قد وقع هناك بالفعل، فلماذا دوّن ساردا نصي **سفر الخروج وسفر العدد،** أسماء المواضع التي اجتازتها الجماعة البشرية المطرودة، أو المحررّة، بطريقة يستحيل الوصول إليها في **جغرافية مصر** البلد والإقليم؟

المثير للدهشة أنّ **التوراة** تتحدث عن الضربات العشر القاتلة التي تعرضت لها **مصر** المزعومة، حين عصفت بها أسراب الجراد والضفادع... إلخ، فكيف يمكن فهم إغفال السجلات المصرية لكارثة من هذا النوع، إذا ما كان الحدث ق وقع فيها؟ إلامَ يشير كل هذا؟ ثمة خطأ مأسويّ في قراءة اسم **مصر**، وفي فهم القصة بأكملها، أدّى بدوره إلى سوء فهم مستمر على مرّ الأجيال. ولأن **التوراة** لا تقول البتّة إن الخروج كان صوب **سيناء**، بل إلى سلسلة أماكن تحمل صيغاً متناقضة، فسوف أكرّس فصلاً خاصاً يبيّن خط رحلة الخروج.

والآن، سأقدم فكرة موجزة عن اسم **سيناء** كما ورد في النص العربي من التوراة، وما يقابله في النص العبري، مع إعادة ترجمة للنصّ لتبيان نوع التلاعب، وبهدف أن نتعرّف بدقّة إلى طبيعة المشكلة التي تواجهنا، ونوع وطبيعة الالتباس الذي وقع فيه المترجمون أو سبّبوه (وقارنوا بين الصيغ الواردة في سفري **العدد والخروج**، ولاحظوا أن هذه الصيغ تكشف عن طبيعة التناقض).

ورد اسم (**سيناء**) المزعوم في **سفر العدد**: الإصحاحات ١،٣، ٩، ٢٠،١٦، ٣٣ في عدّة صور لا يجمع بينها جامع، وهي على النحو الآتي بحسب تسلسل ظهورها:

سفر العدد ١،٣ (٩، ٢٠،١٦) ٣٣

١: الإصحاح الأَوَّلُ (كما في الترجمة العربية)

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي **بَرِّيَّةِ سِينَاءَ**، فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ

إن هذا النص ينطوي على تلاعب مريع في قراءة اسم **سيناء**. وهاكم النص العبري الأصلي:

וידבר יהוה אל משה במדבר סינה באשר השנית לצאתם בארץ מצרים

والترجمة الدقيقة برأينا هي:

وكلم يهوه موسى في **سفوح صينه** وكان ذلك في السنة الثانية لخروجهم من **أرض مصريم**

ومن الواضح أن الاسم صينه - صنه **סינה** رُسم بحرف السامك (**ס**) وهو حرف مؤلف من ثلاثة أصوات، هي الزاي والسين والصاد. ولو كان المقصود **سيناء**، لرُسم الاسم بحرف السين (**ש**). كذلك فإن **سيناء ليست برية وليست سفحاً**.

وهاكم الصيغة الثانية:

٢: الإِصحاح الثَّالِثُ (حسب الترجمة العربية للتوراة)

يَوْمَ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى **فِي جَبَلِ سِينَاءَ**

والنصّ باللغة العبرية يقول:

וידבריהוה את משה בהר סינה

والترجمة الدقيقة والأمينة برأينا، التزاماً بالتهجئة الصحيحة (**ص–ي–ن–هـ**) يجب أن تكون على النحو الآتي:

وكلم يهوه موسى **في جبل صينه**

في هذه الآية التوراتية يتبيّن لنا أن **سيناء** هنا هي **جبل يدعى في العبرية صينة** فهل هي **برية سيناء أم برية صنه أم جبل صينه؟ وها هو هناك في صورة اسم صن – صنه ويقع إدارياً اليوم ضمن** محافظة إب في مديرية العدين، عزلة قصع حليان، قرية الموسطه، محلة **صن**. وهذا هو طريق الحج الذي يؤدي بالفعل إلى **جبل قدس**

وهاكم صيغة أخرى من الاسم:

٣: الإصحاح التَّاسِعُ (حسب الترجمة العربية السائدة)

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي **بَرِّيَّةِ سِينَاءَ**، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ

والنصّ الأصلي بلغته العبرية يقول ما يأتي حرفياً:

וידבר יהוה אל משה במדבר סינה באשר השנית לצאתם בארץ מצרים

وكلم يهوه موسى في **سفوح صينه** وكان ذلك في السنة الثانية **لخروجهم من مصريم**.

لنلاحظ أن محرر النص العبري - سارد سفر العدد - عاد إلى استخدام تعبير برية (**سفوح**) **صينه** - صنه وليس **صحراء سيناء، وهو ما يؤكد أن المقصود جبل، وأن موسى والجماعة الإسرائيلية كانوا يسيرون في سفوح هذا الجبل، ولم يكونوا في صحراء** والفارق هائل ولا يمكن تجاهله بين معاني كلمات مثل برية، سفوح - صفوح، جبل وبين كلمة صحراء وهاكم صيغة أخرى أكثر غرائبية هي **صيغة صن (צן)** وليس (**صينه סינה**)، ولاحظوا الاختلاف في رسم الاسم بالعبرية:

٤: الإصحاح الْعِشْرُونَ - سفر العدد (٢٠ : ١ : ٢)

وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى **بَرِّيَّةِ صِينَ** فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي **قَادَشَ**.

والنص بلغته الأصلية يقول:

ויבאו בני-ישראל כל-העדה מדבר-צן בחדש הראשון וישב העם בקדש.

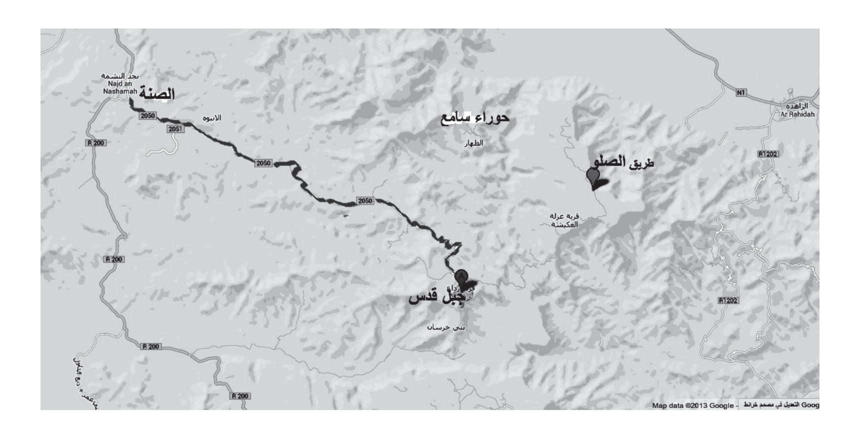
والترجمة الصحيحة هي الآتية:

وعاد بنو إسرائيل والجماعة كلها إلى **برية صن** في الشهر الأول وأقام الشعب في **قدس**.

وبالطبع، يستحيل تخيّل أن **موسى** خرج من **سيناء مصر**، وخلال شهر واحد فقط، تمكن من الانتصار في مكان آخر، ليقيم هو و(شعبه) في **قدس** فكيف وصل إلى **قدس** من **سيناء**؟ هذا يعني أن **سيناء** هنا هي ترجمة مضللة ومخادعة لكلمة **(صن)** التي لا مكافئ لها في العبرية، لأنها ببساطة اسم مكان بعينه، فالتبس الأمر على المترجمين، كما أن اسم **قدس** هنا لا يعني (القدس العربية). وبالطبع، فلا يمكن تخيّل أن اسم **القدس** ظهر في **عصر موسى**، لأن هذا زعم لا تاريخي مرفوض. وكنا قد تحدثنا بالتفصيل في مساهمات سابقة[٣] عن مسألة **اسم القدس** وبرهنا أنه لم يظهر إلا في عصر الإسلام المبكر. وحتى العام ١٥ للهجرة، لم تكن **القدس** تعرف باسم **القدس**. ودليلنا أن الخليفة **عمر بن الخطاب حسب التاريخ الرسمي للإسلام** وصل إلى جنوب بلاد الشام، وعرف المدينة باسم **إيلياء** ولم يعرفها باسم القدس قطّ. لقد ظهر اسم **القدس** في العصر الأموي في صورة (بيت المقدس) مع بناء مسجد قبة الصخرة ثم المسجد العمري والمصلى المرواني، ومع الوقت استخدم المسلمون تعبير **(القدس)** اختصاراً لـ **(مقدس – القدس** والميم هنا هي الميم الحميرية

التي استعملت كأداة تعريف منقرضة – مثل ءم رصاص: الرصاص، ءم سماق: السماق، ءم قيس: القيس). وبالطبع لا يوجد قرب القدس العربية مكان يدعى **صنه أو صين أو صن** أو **سيناء**

لكننا في المقابل نستطيع رؤية **جبل صنه** هذا على طريق الحج إلى **جبل قدس**، تماماً كما في النص التوراتي، لو أننا اتجهنا صوب **تعز**. وفي الخرائط المنشورة في هذا الكتاب يمكن للقراء رؤية خريطة للموضعين (الجبلين) المقدسين. وحتى اليوم، لا يزال اليمنيون ينعتون **جبل قدس** بـ **(قدس المبارك)**، فهم يقدّسونه وينشدون له ويرقصون عند سفوحه رقصاتهم الدينية التي تعرف باسم **رقصة البرع**. ومن اسم هذا المكان المقدس (برع)، وهو قرية في مرتفع جبلي شاهق تعرف باسم برع، وتشكل حزاماً أخضر مؤلفة من مرتفع جبلي شاهق، يشكل حزاماً أخضر من الأشجار رائعة الجمال تحيط **بجبل قدس، جاء اسم الرقصة الدينية (رقصة البرع)**. وبالفعل، فإن الطريق الجبلي الذي سلكته الجماعة المهاجرة قاصدة **جبل قدس في تعز**، يؤدي مباشرة إليه، وهما معاً بالاسم نفسه حتى اليوم. يقع **جبل قدس جنوب غرب تعز** باتجاه عدن بنحو ٨٠ كم، وهو من أهم المواضع في ما كان يسمى قديماً **إقليم المعافر** الذي كانت له شهرة واسعة في تاريخ اليمن، ويدعى اليوم منطقة **قدس وسامع**، واسم سامع يرد حرفياً في نصوص التوراة، كاسم مكان أُقطع للأسباط الإسرائيلية. وفي السنوات الأخيرة اكتُشف (٢١) موقعاً أثرياً في محيط منطقة قدس، ونحو (٦) مواقع في منطقة **سامع** ورد ذكرها في النقوش اليمنية القديمة وحملات المكرب السبئي **كرب إيل وتر** في القرن السابع قبل الميلاد، أي قبل عصر التوراة بقرنين. وسوف نقدم تفاصيل وافية في فصول الكتاب عن كل موضع من هذه المواضع.



خارطة الطريق من برية صنه إلى جبل قدس (تعز)

٥: وهاكم صيغة أخرى متناقضة

الإصحاح الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ (كما في الترجمة العربية للتوراة)

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **بَحْرِ سُوفَ** وَنَزَلُوا فِي **بَرِّيَّةِ سِينٍ**.

والنص في اللغة العبرية يقول:

ויסעו מים-סוף במדבר-סין

أما الترجمة الصحيحة فهي تقول ما يأتي:

فارتحلوا من **يام وسوف** ونزلوا **في برية صين**.

هذه المرة نلاحظ أن الجماعة التي أُفترض أنها هاربة من **مصر**، انتقلت من مكان يدعى **يام** ومن مكان آخر يدعى **سوف،** لتصل **برية صين – سين (סין)** وليس (صن– **צן**). وبكل تأكيد، فهذا المكان ليس **(صينه – صنه סינה)** وهو ليس **سيناء** إن الوصف الذي تقدمه التوراة هنا، لا يمكن مطابقته بأي صورة من الصور مع جغرافية سيناء المصرية؛ بينما يمكن مطابقته بسهولة مع جغرافية محافظتي **إب وتعز** اليمنية.

لقد وصلوا إلى مكان يدعى **סין صين – سين،** هو اليوم اسم مديرية تدعى **السياني،** وهم بلغوها قادمين من **عزلة جبلية تدعى اليوم عزلة السيف** في مديرية ذي السفال التابعة إدارياً لمحافظة إب على تخوم تعز. والمثير أن **سيني – السياني وعزلة السيف تقعان في مكانين متجاورين اليوم** يكمن التضليل في ترجمة التوراة السائدة وبشكل سافر، عبر ترجمة كلمة يام **ים** إلى **بحر**، بينما نعلم من تقاليد الوصف الجغرافي عند القبائل اليمنية والعربية أن مياه الوادي تدعى **يام أيضاً،** بمعنى نهر أو بحر (ومنها المأثور العربي: ألقاه في اليمّ، أي في الماء). والمثير للدهشة، أن بعض الطبعات المنتشرة من التوراة العربية تقدم ترجمة أكثر غرائبية، فهي تحول جملة (يام – سوف **ים–סוף**) إلى **(البحر الأحمر)**، في محاولة للإيحاء بأن **موسى شقّ البحر الأحمر** وهذا ما لا أساس له على الإطلاق في القصة التوراتية لكننا في المقابل نستطيع السير على خطى **موسى وبني إسرائيل** لنجتاز (مياه **سوف**) في المكان نفسه لنصل إلى **سيني**. ولتتبع خط السير هذا، سوف نتجه من عزلة **السيف في إب** (مصر اليمن) إلى **جبل صنه في** طريقنا إلى **جبل قدس في تعز.**

سفر الخروج ١٦:١

وهاكم اسم **سيناء** المزعوم كما ورد في سفر الخروج، بما يتناقض مع وصف سفر العدد، الإصحاح السَّادِس عَشَرَ (كما في الترجمة العربية للتوراة):

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **إِيلِيمَ**. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى **بَرِّيَّةِ سِينٍ**، الَّتِي بَيْنَ **إِيلِيمَ وَسِينَاءَ**

والنصّ بلغته الأصلية يقول ما يأتي:

ויסו מאילם ויבאו כל-עדת בני-ישראל אל-מדבר-סינה אשר בין אילם ו בין סינה

إن الترجمة الدقيقة للنص تقول ما يأتي:

وارتحلوا – خرجوا – من **إيلم**. ثم جاء كل جماعة بني إسرائيل إلى **برية صينه** التي بين **إيلم وبين صنه**.

يتّضح من هذا المثال، أن لدينا صيغة أخرى أكثر غرائبية من اسم **برية سيناء**، فهي برية تدعى **برية صينه סינה**، ولكنها تقع بين صينه **סינה** و**إيلم** فهل ينطبق هذا الوصف على صحراء **سيناء المصرية**؟ وهل هي **صينه أم سيناء أم صن أم سيناء**، أم أن هناك ثلاثة أماكن، كل منها يدلّ على موضع بعينه لا علاقة له بالآخر؟

هاكم اسم موضع **إيلم التوراتي** في طريق صنه: **محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة بني سليمان، قرية الصلبه، محلة بيرالليمه**. ها هنا

بئر **إيلم ــ الليمة** التي تركها الحجاج. وهي كما يلاحظ في الفضاء الجغرافي نفسه.

هذا مجرد مثال لغرض دراسيّ، وسنقوم بتحليل كل هذه النصوص في الفصول القادمة بالتفصيل، ولكننا نعرض هنا تلخيصاً للملاحظات السابقة ليتسنى للقرّاء غير المتخصّصين التعرّف بدقة إلى خط سير الحجاج:

أولاً: إن **التوراة** لا تذكر اسم **سيناء، قطّ**، والاسم يرسم في التوراة في ثلاثة أشكال:

צן صن

סינה صينه

סין صين

ثانياً: إن رسم الاسم في **سفر الخروج** مختلف عنه في **سفر العدد**، وهذا ما يؤكده وجود الصيغ الثلاثة الأنفة.

ثالثاً: إن الوصف الجغرافي لكل صيغة من هذه الصيغ في النص الواحد، يختلف كلية عن شبيهه، بما يؤكد أن النصوص التوراتية بلغتها الأصلية تتحدث عن أماكن مختلفة لا عن مكان واحد، ليس اسمه بكل تأكيد **صحراء سيناء**.

فأين نجد هذه الأماكن؟

طبقاً لما ورد في سفر **الخروج**، فقد كان **موسى** يعيش في مكان قريب من منازل حميه **يثرو**، كاهن مدينة **مدان** الذي يدعى بالمندائية **(الإثري)**

أي الأثيري بمعنى الطاهر، ويعرف تقليدياً في سائر المؤلفات باسم **كاهن يثرون**[٣].

وهذا المكان يدعى في **التوراة** باسم **مدان**. ولمّا كان **موسى** يعرف باسم **موسى بن عمران**، فمن المحتمل أن الاسم ينصرف إلى اسم مكان يدعى **عمران** انتسب إليه، عندما كان يرعى الغنم عند حميه. أي إنه **ابن عمران المكان – القبيلة**. وهذا وحده ما يساعدنا في تفكيك لغز الالتباس في **علاقته بمريم**، فهي **أخت هارون شقيق موسى** وتدعى **مريم بنت عمران**، لكنها ليست أخت موسى

هذا يعني أنهما ينتسبان إلى مكان بعينه أو قبيلة (جماعة – بطن قبلي) يدعى (**عمران**). وهو اسم الإله القديم الذي ترك اسمه في أكثر من موضع وصيغة اسم في اليمن.

يقول النص العبري:

ומשה היה רעה את-צאן יתרו חתנו כהן מדין וינהג את-הצאן אהר המדבר ויבא אל-הר האלהים חרבה

وترجمته في النص العربي (الإصحاح – ٣ – ١)

(وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُرِيبَ).

هذا الوصف الجغرافي لا يمكن العثور عليه بأي شكل من الأشكال في جغرافية مصر البلد العربي، لا قديماً ولا حديثاً. فأين حدث الخطأ؟ يكمن

جوهر الخطأ - وإذا شئتم الالتباس - في فهم قصة **الخروج الإسرائيلي من مصر**، وكذلك في استيعاب دلالاتها الدينية وفهم مسرحها الجغرافي الحقيقي في قراءة **اسم مصر، وليس في أي جزء من هذه القصة الدينية المثيرة.** لقد قرئ هذا الاسم باعتباره دالّاً على **مصر البلد العربي**، ولم يكن ذلك صحيحاً، كما بيّنت بإسهاب في مساهمة سابقة[٤]؛ وبالتالي، فقد نشأ وتأسّس في وعينا للتاريخ القديم، ما يمكن اعتباره ارتباطاً تعسفياً بين الحدث والمكان. وهذا الربط الجائر ناجم عن أسباب متراكبة ومتعددة الطبقات في التاريخ الرسمي. ومن المؤكد أن الإخباريين ورجال الدين والفقهاء والرواة وحتى علماء الآثار وكتاب التاريخ من مختلف الأديان والعصور، أسهموا في تأسيس هذا الالتباس أو الخلط التعسفيّ. لقد جرى باطّراد في سائر الكتابات والمؤلفات السائدة، ربط تلقائي بين حادث الخروج، وبين (**مصر**) البلد العربي، ولكن من دون أن تكون هناك أي دلائل حقيقية وهذا ما سبّب اضطراب الرواية الرسمية. ولمّا كان **اسم مصر** في عصر الخروج، لا وجود له ولم يكن معروفاً قطّ، لأنها كانت تعرف باسم **الجبت - إيجبت، بلاد القبط**، فقد حدث خلط مريع ومثير للحيرة؛ إذ كيف يكون الحدث - من الناحية الزمنية قد وقع عام ١٣٠٠ (أو ١٥٠٠ ق.م) على أبعد تقدير، بينما لم يظهر اسم **مصر** إلا في عام ٧٠٠ ق.م؟ أي إن هناك فارقاً زمنياً بين الحدث وظهور اسم المكان يتجاوز ٨٠٠ عام فهل كانت هناك **مصر أخرى هرب منها بنو إسرائيل**؟ ومتى حدث ذلك؟ سأقوم في هذا الفصل ببناء تصور شامل عن (**مصر الأخرى**) التي خرج منها **بنو إسرائيل**، وسأترك للقرّاء فرصة التأمل في الوقائع التاريخية والأماكن الجغرافية كما رسمتها الأسفار الثلاثة (الخروج، العدد، التثنية).

سوف أتناول كل هذه الجوانب من المسألة المثارة في هذا الفصل ببضع نقاط:

١: مصر الأخرى والتاريخ المسكوت عنه

سوف أكرر الفكرة السابقة بشيء من التفصيل المحدود الذي يتطلبه التحليل، لترسيخ التصوّر الجديد في أذهان القرّاء غير المتخصصين:

من بين أكثر البديهيات التي غالباً ما يتجاهلها علماء الآثار، وكتّاب التاريخ الرسمي، وهم يجادلون في رواية الخروج، أن اسم **مصر** لم يظهر في **السجلات المصرية** (ما يعرف خطأً بالسجلات الفرعونية) إلا في حدود ٧٠٠ ق.م، وعلماء المصريات يعرفون هذا جيداً، ويوافقون على أنها لم تُعرف بهذا الاسم إلا في هذا العصر. أما قبل ذلك، فقد كانت تعرف باسمها القديم (**بلاد القبط**). كذلك فإن هؤلاء يتجاهلون التناقض التاريخي الصارخ الآتي: أن أبعد تقدير لزمن الخروج يوضع غالباً في حدود ١٥٠٠–١٣٠٠ ق.م. فكيف يمكننا تقبّل فكرة أن **موسى خرج من مصر**، واسمها لم يكن معروفاً إلا بعد مرور نحو ٨٠٠ عام من وقوع الحدث؟ وهل إذا ما سلمنا بالحقيقة التاريخية التي أكدتها هذه السجلات، يكون علينا أن نتقبّل فرضية وقوع الحدث عام ٧٠٠ق.م؟

في هذه الحالة، سيكون علينا أن **نعيد ترتيب العصور والأديان وتسلسل الملوك والحروب**، لكي يصبح هذا الحدث ضمن **التاريخ المصري**، وهذا عمل يبدو عبثياً، وقد يدخلنا في دوامة من الفوضى لا حل لها. مثلاً، سوف يصبح **سليمان** الذي يقال إنه عاش نحو عام ٩٠٠ق.م، نبياً وملكاً على **بني إسرائيل** قبل تحرّرهم من عبودية الفرعون بنحو مئتي عام كذلك إن حملات

الآشوريين على (**مملكة إسرائيل**) و (**مملكة يهوذا**) تكون في هذه الحالة قد أوشكت على نهايتها قبل قيام المملكتين كذلك يصبح السبي البابلي على مقربة من عصر **موسى** هذا ومثل هذه الفوضى ستجعل التاريخ البشري بأسره غرائبياً.

لكل ذلك، يبقى أمامنا، ولتجنب الفوضى في ترتيب العصور والأديان والملوك والحروب، تقبّل فكرة أن **الخروج الإسرائيلي ليس حادثاً تاريخياً، وهو لم يقع في مصر البلد العربي**، قطّ، وأنه قصة دينية جرت وقائعها في مكان آخر، أي إنه حدث دينيّ تناقلت روايته جماعة بعينها، وهي ضخّمته وصعّدت من قيمته الروحية لأغراض التعليم الديني لكن، أين وقع هذا الحدث؟ وهل هناك (**مصر أخرى**) كانت هي المسرح الحقيقي؟ وقبل ذلك كيف كان شكل العالم القديم الذي وقع فيه هذا الحادث؟ ومن هي القوى العظمى المقرّرة لمصيره آنذاك، وما هي أبرز ممالكه ودوله؟

إذا كنا نعلم – وهذا من البديهيات المدرسيّة – أن الدولتين **البابلية – الآشورية والمصرية**، كانتا أقوى قوتين في العالم القديم، وهما استمرتا في الهيمنة عليه طوال عصور متتابعة حتى سقوط بابل في عام ٥٣٩ ق.م؛ فإن ما لا يعلمه الكثيرون، بسبب التلاعب في رواية تاريخ المنطقة، أن **اليمن في عصر الخروج الإسرائيلي** (١٥٠٠ – ١٣٠٠ق.م) كان **مملكة عظيمة**، امتدت حدودها حتى **الطائف** (كما نلاحظ ذلك من **خريطة بطليموس، وهي خريطة متأخرة طبعاً**)، وكان لديها ما يكفي من القوة والنفوذ والثراء، لتقود تجارة العالم القديم. ليست هذه المملكة سوى **مملكة الجوف** اليمني التي أسّستها **القبائل المعينية** (وهي من بقايا ثمود).

وكانت تُعرف بحسب النقوش باسم **معين مصرن - معين مصر**. وحتى اليوم توجد في **محافظة تعز** ضمن مديرية الوازعية وفي عزلة المشاوله قرية جبلية تعرف باسم قرية **مصرن** (مصران). والمدهش أن بعض **ملوك معين** كانوا من **آل فرعه**، ويعرفون باسم **الفرعون** (فرعه حسب رسم التوراة والنقوش اليمنية). بينما لا يوجد في السجلات المصرية التاريخية أي أثر للاسم فرعون، وهو يُستخدم مجازاً في وصف الأسر الحاكمة أي إن السجلات المصرية لا تعرف صيغة الاسم (فرعون) أبداً، بل تطلق على الحكام لقب (**ملك**). لقد فرضت **معين مصر** نفوذها على الساحل اليمني وعلى طرق التجارة الدولية عبر البرّ بواسطة قوافل الجمال التي تولت قيادتها **قبيلة أمير** الشهيرة (ورد اسمها في التوراة في صورة أمير). وهؤلاء كانوا يحملون لقب (**ملوك الجِمال**). ثم انتقلت المملكة إلى حقبة جديدة من تطورها حين قادت التجارة عبر البحر من خلال **موانئ الحديدة ومدي في محافظة حجّة**. وبشكل أخصّ، تمكنت من قيادة تجارة البخور واللّبان والمنتجات الزراعية والصناعية والأسلحة مثل السيوف والدروع، وصناعات النسيج كذلك، أو ما يُعرَف في المرويات العربية القديمة **بنسج داود**، وهو توصيف قصد به هذه الصناعات التي اشتهر بها اليمن القديم (وعرفت بدروع داود).

وبالطبع، لم يكن **داود ملكاً على فلسطين**، بل في **اليمن** إن التلاعب بالتاريخ هو الذي جعله ملكاً من ملوك فلسطين دون أدنى دليل تاريخي. وبفضل ازدهار الصناعات اليمنية، أطلق اليمنيون على بلادهم اسم (**بلاد المصانع** - الصنع)[٥].

لكن هذه المملكة العظيمة سقطت في القرن السابع قبل الميلاد، أي قبل نحو ٢٠٠ عام من سقوط بابل في قبضة الفرس، وقبل نحو قرنين من كتابة التوراة، وذلك بعد سلسلة حروب خاضها **كرب إيل وتر**، آخر المكربين وأول ملوك سبأ(٦). ويمكننا التثبت من هذه الحقائق عند تحليل النقش الذي يعرف باسم نقش النصر أو كتابة صرواح RES ٣٤٥ ٤٦، وورد فيه أن المكرب **كرب إيل وتر**، استعاد مدينة (فدة) من**المعينيين (وهؤلاء كما سنرى هم الكنعانيون في التوراة)** أثناء معركة كبيرة، استولى خلالها على **جبل ضهر (هكذا يرسمه اليمنيون)**. وفي هذا النقش يتّضح لنا أنه بسط سيطرته على أجزاء واسعة من اليمن، بعد أن انتزعها منهم. وفي هذا النقش لا نجد أي أثر **لمملكة إسرائيلية في الشمال**. فماذا يعني ذلك؟ هل يعني أن المملكة قامت في اليمن قبل عصر المكاربة ٨٥٠ ق.م؟ أم قامت بعد سقوطهم؟ إن التاريخ المكتوب لا يعرف أي شيء عن وجود مثل هذه المملكة ولو أننا افترضنا، كما تفعل القراءة الاستشراقية السائدة، أن هناك بالفعل **مملكة عظيمة لبني إسرائيل** قامت فوق **أرض فلسطين،** ثم انقسمت في عهد **رحبعم بن سليمان** إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب، وأن نفوذهما كان واسعاً بحيث شمل كامل المنطقة من **سورية ولبنان والأردن حتى العراق** حين **عبر داود نهر الفرات** بحسب الزعم الرائج؛ فإن السؤال الذي لا جواب له سيكون أمامنا وجهاً لوجه: متى كان ذلك؟ في أي عصر؟ وهل كان ذلك في عصر **سليمان**؟ فكيف إذاً، ولماذا لم تذكر سجلات الإمبراطورية الآشورية أي شيء عنها؟ ولماذا أغفلتها السجلات المصرية؟

٢: مصرن مصراً: بين القرآن والتوراة

دعونا نتساءل قبل تحليل مسألة مصر في سفر الخروج: لماذا يردّد العربي القول المأثور (**مصر الكنانة**)؟ ما علاقة **مصر بقبيلة بني كنانة**؟ إن بعض اللغويين المتفذلكين يردّدون فكرة سطحية مفادها أن المقصود بهذه الجملة (كنانة القوس)، أي الكيس الذي يضع فيه الصيّاد النُبل؟ وهذا غير منطقي، لأنه توصيف يصلح لجماعة قبلية بدائية تعتاش على الصيد، وليس لبلد كبير، كذلك إن استخدامه للدلالة على مصر لا يناسب مكانتها القديمة. في الواقع، لا يمكن فهم دلالة هذا القول المأثور في الراسب الثقافي العربي إلا بإعادة ربط اسم **كنانة مع مصر اليمن**؟ لقد تمكنت **مملكة معين – مصرن** في منطقة الجوف اليمني منذ نحو ١٣٠٠ ق.م من الاستيلاء على سواحل **الحديدة وحجة**، وبفضل هذا التوسّع تمكنت من قيادة تجارة بحرية عالمية للّبان والبخور والأسلحة والثياب والمنتجات الزراعية والعسل والأحجار الكريمة. ولأن هذا الساحل كان يدعى حتى **عصر الهمداني باسم ساحل بني كنانة**، فسوف يكون مفهوماً مغزى القول المأثور. لقد قصد به **مصر اليمن التي كانت أرض بني كنانة جزءاً منها**. وتكمن أهمية الإشارة الثمينة الواردة في **نص نقش النصر** عن امتداد نفوذ الدولة السبئية في عصر آخر المكاربة إلى أجزاء واسعة من اليمن القديم، هنا: أننا، إذا ما نظرنا إلى بُعد المسافة بين **منطقة الجوف مقر المعينيين، وجبل ضهر**[٧] **في بلاد المعافر** (تعز) **فسوف يكون علينا** تقبّل حقيقة أن **مملكة معين – مصر** (ن) في هذا الوقت، كانت لا تزال تبسط سيطرتها على منطقة الساحل بأكمله. وفي القرآن[٨] ثمة دليل قاطع على أن المقصود من **مصر** إنما هو (**مصرن**) هذه. لقد ثار جدل عميق

بين الفقهاء واللغويين العرب والمسلمين حول السبب الذي أدّى إلى (تنوين) اسم **مصر** في آية (**اهبطوا مصراً**)، بينما وردت في آيات أخرى دون تنوين؟

ويتعيّن علينا حيال هذا الأمر، أن نتأمل في المضمون الحقيقي لرسم اسم **مصر** في القرآن على هذا النحو (**مصراً** - وتقرأ مصرن)، خصوصاً أن هذا الرسم يأتي في سياق آيات تخصّ **موسى وبني إسرائيل** خلال رحلة الخروج:

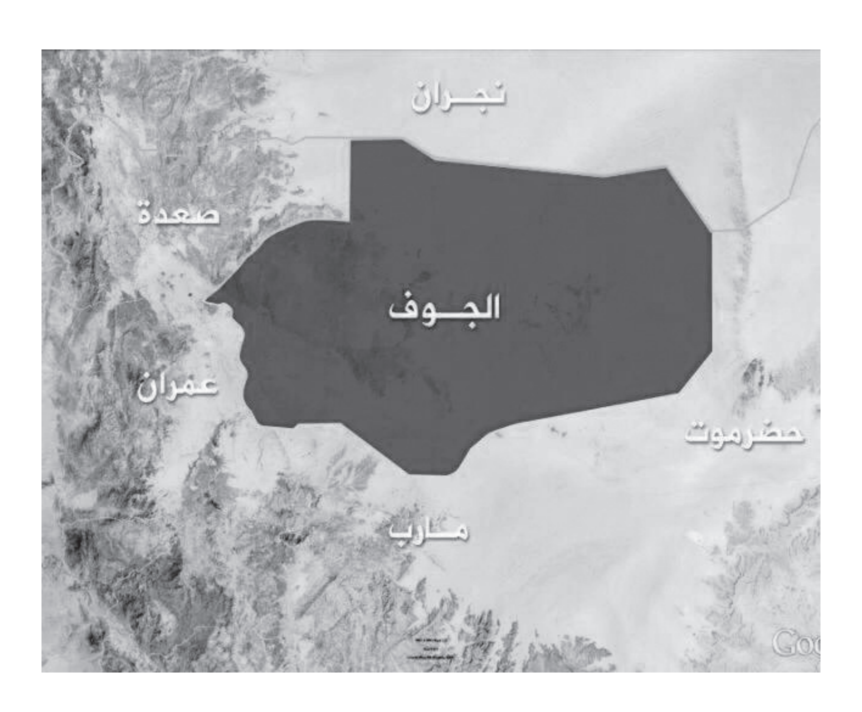
وفي النصّ القرآني - سورة [**البقرة**:٦١].

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا).

أثار هذا النصّ نقاشاً لغوياً ودينياً خاضه فقهاء وعلماء لغة. لكن أحداً لم يتمكن من تقديم أي تفسير مقبول لرسم اسم مصر بهذه الصورة لقد أخفق الطبري[٩] والفقيه اللغوي الفراء[١٠] في ذلك، وجاءت تفسيراتهما لتزيد في غموض المقاصد من رسم الاسم. والأصل في هذا الخلاف يكمن في وجود ذاكرة تاريخية كانت لا تزال تحتفظ باسم المكان الحقيقي لقصة الخروج الإسرائيلي، فهم خرجوا من (**مصرن**) وليس من **مصر**. وما يؤكد ذلك **قول الفرّاء** اللغوي حول (مصراً) في هذه الآية إن أسماء البُلدان لا تصرف.

إن هذا النصّ يجزم بأن مشكلة (تنوين) اسم **مصر** التي حيّرت اللغويين والفقهاء، قابلة للحل - فقط - في حال أننا تقبلنا فرضية وجود معنى آخر لاسم (**مصراً - مصرن**) لا علاقة له باسم **مصر** البلد العربي المعروف وهذا يعني أننا ينبغي أن نفتش عن المسرح الحقيقي للقصة **التوراتية - القرآنية**.

لقد ورد اسم **مصر اليمنية في نقوش مسندية** كثيرة، منها نقش شهير يعرف باسم **نقش معين** عُثر عليه في مدينة براقش بالجوف اليمني التي تعرف تاريخياً بأنها أحد أهم مراكز مملكة **(معين مصرن)**، وهي ذاتها صيغة الاسم **مصر** (⅁ᛟ𐩣).



مملكة معين مصرن في الجوف اليمني في حقبة تجارة البخور البرية

وقبل الاستيلاء على الساحل

٣: أين كان بنو إسرائيل قبل استعبادهم في مصر اليمن؟

استناداً إلى نصوص سفر التكوين، فقد عاش **يعقوب** (الذي سوف يصبح اسمه إسرائيل) في **أرض كنعان**. ولكنه انتقل إلى **أرض مصريم**، حين ضربت المجاعة الكبرى الأرض كلها حسب النص التوراتي (٤٢-١ تكوين).

وهنا النص العبري:

וירא יעקב כי יש-שבר במצרים ויאמר יעקב לבניו למה תתראו ויאמר הנה שמעתי כי יש-שבר במצרים רדו-שמה ושברו-לנו משם ונחיה ולאנמות וירדו אחי יוסף עשרה לשבר בר ממצרים ואת-בנימין אחי יוסף לא-שלח יעקב את-אחיו כי אמר פן-יקראנו אמזן ובאו בני ישראיל לשבר בתזך הבאים כי-היה הרעב בארץ כנען

وهنا النص العربي حسب ترجمتنا:

فَلَمَّا رَأَى **يَعْقُوبُ** أن في **مِصْرَيم قمحٌ**، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟» وَقَالَ «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ **قَمْحٌ فِي مِصْرَيم**. انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ». فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ **يُوسُفَ** لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ **مِصْرَيم**. وَأَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ قَالَ: «قد يصِيبُهُ أَذى». فَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ من بَيْنِ الَّذِينَ أَتَوْا للشراء، **لأَنَّ الجُوعَ** ضرب **أَرْض كَنْعَانَ**.

وهكذا وصل بنو إسرائيل إلى مصريم وليس إلى مصر، أي إلى مصرن، والميم في النص العبري بديل النون العربية (مصرم – مصرن). ولو كان سارد النص يقصد مصر البلد العربي لرسم الاسم في صورته المألوفة **מצר** (مصر) ولا مبرر له ليضيف الميم. وهكذا وصل بنو إسرائيل إلى مملكة مصرن اليمنية في عصر يعقوب قادمين من أرض كنعان المجاورة وعاشوا هناك نحو ٤٣٠ عاماً.

وهذا ما يقوله السفر ويشرحه بوضوح:

نقرأ في سفر اَلْخُرُوجِ/ الإصحاح الأَوَّل النص العبري ما يأتي:

ואלה שמות בני ישראיל הבאים מצרים את יעקב איש ביתו באו ראובן שמעון לוי ויהודה יששכר זבו לרן וב־נימן דן ונפתלי גד ואשר ויהי כל-נפש יצאי ירך –יעקב שבעים נפש ויסף היה במצרים וימת יוסף ובל-אחיו ובל הדור ההוא ובני ושראיל פרו וישרצו וירבו ויעצמו במאר מאד ותמלא הארצ אתם

النص العربي:

وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَيم. مَعَ يَعْقُوبَ جَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبَيْتُهُ: رَأُوبَيْنُ وَشِمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ وَبَنْيَامِينُ وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَأَشِيرُ. وَكَانَتْ جَمِيعُ نُفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْساً. وَلكِنْ يُوسُفُ كَانَ فِي مِصْرَيم. وَمَاتَ يُوسُفُ وَكُلُّ إِخْوَتِهِ وَجَمِيعُ ذلِكَ الْجِيلِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وعمّروا طويلاً وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ.

ما يقوله هذا النصّ هو الآتي: أن الأسباط الكبيرة في **بني إسرائيل** وصلت مع **يعقوب** إلى **مصريم** – **مصرن** بعد المجاعة، بينما كان **سبط يوسف** قد سبقهم في الوصول بسنوات (وقصة بيع يوسف معروفة جيداً). كذلك يوضح سفر اَلْخُرُوج، الإصحاح الأَوَّل، هذه النقطة وكيف أقام بنو إسرائيل هناك كعبيد.

سأقوم هنا بنقل النص كما في ترجمته السائدة لأبيّن نوع الأخطاء في فهمه. يقول النص العبري سفر اَلْخُرُوجُ/ الإصحاح الأَوَّلُ:

ויקם מלך-חדש על-מצרים אשר לא-ידע את-יוסף ויאמר אל-עמו הנהעם בני-ישראיל רב ועצום ממנו חבה נתחכמה לו פן-ירבה והיה כי-תקראנה מלחמה ונזסף נם-הוא על-שנאינו ונלם-בנו ולה מן-הארצ וישימו עליו שרי ממים למען ענות במבלתם ויבן ערי ממבנות לפרעה את-פתם ואת-רעמסס וכאשר יענו אתו כן ירבו וכן יפרצ ויקצו מסןי בני-ישראיל ויעבו מצרים את-בני-ישראיל בפרך וימררו את-חייהם בעבדה קשה בחמר ובלבנים ובכל-עבדה בשדה את כל-עבדתם אשר-עבדו בהם בפרך

النص العربي كما في الترجمة السائدة:

(ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ».

فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: **فِيثُومَ، وَرَعمسيس**. وَلكِنْ بِحَسْبِمَا أَذَلُّوهُمْ هكَذَا نَمَوْا وَامْتَدُّوا. فَخافوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وأذاقوهم مرّ العبودية القاسية فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَل فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ كان قاسياً).

وهذا النص يتضمن الكثير من الأخطاء التي أدّت إلى شيوع أوهام لا أساس لها في التاريخ، منها أن **بني إسرائيل بنوا مدينتين لخزن الحبوب هما فيثوم ورعمسيس**.

وهنا النص كما قمت بترجمته وضبط الأسماء فيه بدقة يقول ما يأتي:

(ثم قام ملك جديد على **مصريم** لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: ها هنا شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا. فتعالوا نتحكّم بهم لئلا يتمرّدوا. وإذا ما وقعت حرب، فقد يصبحون إلى جانب أعدائنا ويحاربوننا ويتركون البلاد. ولذا نصّبوا عليهم الرؤساء ليسخّروهم في الأعمال القاسية فبنوا المنازل والمباني لفرعون في **فيثوم ورعم، وسس**. ولكنهم صاروا عرضة للذل. فكثر بنو إسرائيل ونموا وهم أذلاء وعبيد، واستعبد المصريون بني إسرائيل بقسوة فذاقوا مرّ عبوديتهم وهم يعملون الطين واللبن في المرتفعات، فكان كل عملهم الذي عملوه عبودية قاسية)

ما يقوله هذا النص هو التالي: إن بني إسرائيل كانوا يعملون في **مصرن** كعبيد، وإنهم بنوا وعمروا المباني والمنازل في **فيثوم ورعم، وسس** (وليس رعمسيس). وبكل تأكيد لا تعرف مصر البلد العربي، وجود مدينتين استخدمتا كمخازن

حبوب بهذا الاسم. سوف أتحدث في صفحات قادمة، بالتفصيل، عن قريتي **رعم وسس**، وأكتفي هنا بتحديد **موضع قرية فيثوم - الثوم**. إن كتابة الاسم التوراتي بهذه الصورة، يُعيد تذكيرنا برسم الكلمة نفسها في القرآن (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا **وَفُومِهَا** وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا - البقرة/ ٦١). من الواضح أن التقاليد الصوتية (الفونيطيقية) عند سائر القبائل العربية في اليمن، كانت - ولا تزال - تقلب حرف الثاء فاءً: ثوم - فوم. ويبدو أن هذه التقاليد في النطق قديمة جداً، وقد درج كتبة النصوص الدينية ومحرروها على تقليد الكتابة طبقاً لطريقة النطق، لكنهم احتفظوا برسم بعض الكلمات بأصلها؛ ولذا جاءت كلمة فيثوم كدمج لتقاليد النطق ثوم، فوم، فيثوم، ولذلك يجب أن يقرأ اسم القرية في صورة (الثوم). وهاكم اسم القرية كما هو اليوم في محافظة إب ضمن مديرية الظهار حيث عزلة انامر وقرية ذي عامره. هناك سنجد محلة تدعى **جبل ثوم**.

وفي هذا الفضاء الجغرافي لمحافظة إب سنجد قرية لا تزال تحمل اسماً يعيد تذكيرنا ببني إسرائيل. هاكم اسم القرية: محافظة إب، مديرية الشعر، عزلة الملوك، **قرية الأسباط** فما الذي يجمع بين المكانين؟ ولماذا نجد اسم قرية **فيثوم - الثوم** على مقربة من **قرية تدعى الأسباط** (أسباط بني إسرائيل)؟ من المهم للغاية رؤية البيئة (الإيكولوجيا) التوراتية، لا مجرد التماثل في أسماء المواضع

وأكرر هنا، إنني لا أهتم بأي تشابه في الأسماء، بل بوجود وحدة عضوية ثقافية - روحية متكاملة. إن سائر هذه النصوص توضّح مسألتين في غاية الأهمية، تفسران دوافع الهجرة وبواعثها:

أولاهما، أن كنعان جزء من أرض مصر، أي تحت نفوذها وسلطتها، وأن المجاعة ضربت **أرضها**. وبطبيعة الحال، لم يكن هناك مكان فيه حبوب أو طعام، سوى مكان بعينه تطلق عليه التوراة اسم (**مصريم – مصرن** بمعاملة الميم نوناً). وبكل يقين، لا يوجد في جغرافيا العالم القديم مكان أو أرض **تدعى كنعان كانت في مصر**. إن مصر البلد العربي القديم لم يكن يعرف أرضاً تدعى كنعان كانت مصر جزءاً منه

وثانيتهما، أن **الإسرائيليين** في هذه الحقبة من وجودهم كانوا **بدواً ورعاة ماشية**، ولم يكن لهم دين قبلي خاص بهم، وأن المصريين المتمدّنين الذين يتعبّدون لإله مركزي هو **الإله ودّ**، كانوا ينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار، وهو ما يعيد تذكيرنا بأساطير ومرويات الصراع بين المزارعين المستقرين والبدو (العدنانيون والقحطانيون مثلاً، قابيل وهابيل... إلخ). ولذا شعروا بالخوف من تزايد أعدادهم وتكاثرهم بسرعة. هاتان المسألتان مهمّتان لفهم نص سفر الخروج وتخليصه من المخيال الاستشراقي، فليس **ثمة أرض كنعان (فلسطينية)** كما خدعنا علم الآثار التوراتي طوال ٧٠ عاماً من التنقيب في فلسطين، وليس ثمة هروب من الفرعون.

٤: بنو إسرائيل في جازان من أرض مصر

والآن: لمّا كان **بنو إسرائيل في عصر موسى**، جماعة من البدو الذين عاشوا في بيئة مجدبة حتى قبل وقوع المجاعة الكبرى، و**موسى** نفسه كان يرعى أغنام **كاهن مدان**، أي أنه لم يكن ضابطاً في الجيش المصري كما زعم **فرويد** في كتابه الشهير (**موسى والتوحيد**)[١١] فهذا يعني ببساطة أن رحيلهم لم يكن فقط بدافع المجاعة، وثمة عوامل أخرى من بينها أن نمط حياتهم

كقبيلة مرتحلة، فرض عليها أن تفتش عن مصادر جديدة للطعام. وهذا باعث حقيقي من بواعث البحث عن (**أرض ميعاد**) أي عن أرض استقرار وخصب. وهذا هو جوهر فكرة التوراة عن (**أرض الميعاد**) بوصفها حلم كل جماعة بدويّة، وليست فكرة مُحتكرة خاصة بشعب أو قبيلة بعينها. في هذا الإطار، يبدو مفهوماً لنا، أن هذه الجماعة كانت تحلم بظهور مخلصها الذي سوف ينتشلها من العذاب ويقودها للقاء إلهها، ولذا (اخترعت) **شخصية موسى** الذي يعني اسمه في العبرية (**مشه**): المنتشل، المخلص. إن **سفر التكوين** يرسم صورة دقيقة عن حالة بني إسرائيل في عصر يوسف، فقد كانوا رعاة ماشية وأغنام يرتحلون من مكان لآخر، وحين وقعت المجاعة الكبرى، اتجه هؤلاء نحو أرض **مصريم الخصبة**. لكن أين عاش **بنو إسرائيل** بعد أن دخلوا **مصريم** (م–ص–ر–ي–م **מצרים**)؟ لقد وردت على لسان **يعقوب** (**إسرائيل**) في **سفر التكوين** الجملة الآتية التي تحدّد المكان الذي استقروا فيه داخل **مصريم**:

(تك، النص العبري: ٤٧ ٢٧: و – ي – ش – ب – ي – س – ر – ءل – ب –ء – ر – ص – م – ص – ر – ي – م – ب – ء – ر – ص – ج – س – ن

וישב-ישראל בארץ מצרים-בארץ גשן

ومضى إسرائيل في أرض مصريم وفي أرض جاسان).

هذا هو النصّ الحرفي كما ورد في التوراة العربية، **لكنني أقترح قراءة أخرى للاسم** (**גשן**) أكثر دقة، فهو (**جشن**) بحسب التهجئة الصحيحة

للحروف (ج – ش – ن)، وليس **جازان أو جاسان** كما في الترجمة السائدة. وهذا المكان هو بالفعل من **أراضي مملكة معين مصرن. تقع جشن في محافظة لحج** ضمن **مديرية القبيطه**، وفي عزلة تدعى – ويا للمصادفة – **عزلة اليوسفين**، حيث توجد قرية الأقروض، وفيها موضع محلة قديمة تسمى حتى اليوم: **محلة جشن.**

ومحافظة لحج ملاصقة لمحافظة تعز، كما أن مديرية القبيطة (ومنها جاء الاسم **قبط، الأقباط**) تقع بالضبط على مقربة من **جبل قدس في تعز** ضمن مديرية سامع. وكما هو واضح من توصيف النصّ، فإن رحلة **يعقوب** الأب (إسرائيل) كانت قد انطلقت من **لحج صوب تعز وإب (أرض مصرن) ليستقرّ أولاً في أرض جشن**، وبالطبع لم يذهب **يعقوب إلى مصر** الإقليم العربي. ومن غير المنطقي مجرد التفكير في ذلك، فكيف تكون (**أرض مصريم في أرض جشن**)؟ هذا يعني أنه اتجه إلى **مصر اليمن في إب ومخلاف السحول** طلباً للطعام، حيث أقام في قطاع صغير هناك يدعى جشن – **جسن ويتبع المخلاف وتحت نفوذه.** لقد هرب مع أولاده ومواشيه من **أرض كنعان** بعد أن ضربتها المجاعة، واتجه صوب **وادي السحول** (واليمنيون القدماء، وحتى المعاصرون، يردّدون حتى اليوم أثناء المجاعات وأزمات الطعام: **يا هارب من الموت مالك ناجي... ياهارب من الجوع عليك بسحول بن ناجي**).

ظل **وادي السحول** عبر التاريخ من أكثر المناطق خصباً، ودُعي منذ وقت طويل **بمصر اليمن.** وبالطبع لا وجود لمكان في الجغرافيا القديمة **لمصر البلد العربي** الذي نعرفه، مكان بهذا الاسم كان جزءاً من قطاع إداري أكبر

يدعى **جشن،** ولكن جغرافية اليمن تعرف هذا المكان في **لحج**. ولو أننا وافقنا – على مضض – وتقبّلنا ترجمة كلمة **جسن** – **جشن في صورة جازان كما في التوراة العربية، فإننا سنجده – مع ذلك** – محتفظاً باسمه التاريخي **(جازان)** وينطق اليوم في صورة **جيزان**. تقع **جيزان في القطاع الغربي من تعز** التي يحدّها من الشمال محافظة الحديدة ومن الجنوب مديريتا المعافر وموزع وجزء من مديرية جبل حبشي، ومن شرقها مديريتا الرونة وجبل حبشي، بينما تشكل مديريتا موزع والمخا، جانبها الغربي. وحتى اليوم تسمع سكان الوادي يقولون **إنهم كانوا من اليهود**. ويوجد في وادي الصرحة – **الصرحان حيث تقع جيزان هذه،** العديد من المواقع الأثرية، أهمها قلعة مؤيمرة في **قرية المحرقة** ضمن منطقة **جبل شمير**– **شمير** في التوراة، **وقرية الحرف** – حرف في التوراة. ولو أننا قرأنا الكلمة العبرية **גשן في صورة جشن، وهذه قراءة صحيحة؛ فإن هجرة يعقوب تكون قد بدأت من أرض لحج الملاصقة لتعز، نحو وادي السحول في إب**. وفي تخوم **تعز،** حيث يمكننا اليوم أن نجد **(جشن)** التي أقام فيها **يعقوب** ونسله قبل أن يرحل منها طلباً للطعام.

لقد كان **بنو إسرائيل** جماعة من **البدو الرحل،** وهذا هو السبب الحقيقي لاحتقارهم من جانب سكان **(مصرن)** من التجار والمتحضرين، وبحيث إنهم كانوا يعتبرونهم **نجاسة**. وهنا النص (تكوين: ٤٦ : ٣١) الذي يصف فيه **يوسف مشاعر سكان مصر اليمنية** تجاه البدو:

(ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ وَلِبَيْتِ أَبِيهِ: «أَصْعَد وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولُ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي **أَرْضِ كَنْعَانَ** جَاءُوا إِلَيَّ. وَالرِّجَالُ **رُعَاةُ غَنَمٍ،**

فَإِنَّهُمْ **كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ**، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ. فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ أَنْ تَقُولُوا: عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا. لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي **أَرْضِ جَاسَانَ. لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ**).

ويمكننا عند تحليل هذا النصّ، أن نلاحظ المغزى الحقيقي لاستعباد **بني إسرائيل في مصر**، فقد كانوا في هذه الحقبة من تطورهم التاريخي كجماعة دينية، **رعاة أغنام ومواشٍ**، وهؤلاء كانوا، بالنسبة إلى **المعينيين** (التجار الأغنياء والمتحضرين) نوعاً من نجاسة، ولذا اصطدموا بمشاعر الاحتقار والرفض لوجودهم كجماعة هاربة من الجوع، تتقبل أحطّ أنواع العمل في الأرض. إن هذا التوتر التقليدي بين الرعاة والمزارعين ينتسب إلى تقاليد يمنية قديمة، يمكن أن نجد صداه في القصة التوراتية عن صراع **هابيل الراعي وقابيل المزارع**، وهي ذاتها أساطير بلاد ما بين النهرين التي سجلتها الأناشيد السومرية عن صراع الراعي والفلاح، للفوز بقلب عشتار إلهة الخصب، وهو ذاته الصراع بين **سيث وإيزيروس** في المثيولوجيا المصرية القديمة. ولذلك، يجب أن يُنظر إلى مسألة عبودية **بني إسرائيل** من هذا المنظور بوصفها حكاية تقليدية متوارثة دخلت في سائر السرديّات الكبرى التي نعرفها عن صراع **الراعي والفلاح**، وليست بالضرورة واقعة تاريخية؟

هنا وصف موجز **لمصر** (لما سوف يعرف تالياً بمخلاف السحول) يبيّن غزارة مياهه وخصب أراضيه وغناها: يبدأ وادي زبيد **من شمال مدينة إبّ فيمر بوادي السحول**، وتنضم إليه مياه شرق جبل حبيش وشماله، وغرب جبل بَعْدان وشماله، ومياه جبل المنار، والمخادر، وغرب بلاد يَرِيْم من

مناطق تدعى مناطق بني مُسلم، وهي أعلى جبال يَرِيْم، ومنها أودية شيعان والصُنَّع و**رِحاب** والأودية النازلة من **سُمارة**، وتنضم إليه – أيضاً – مياه جنوب **عُتمة** وشرق جبال وصابين وجنوب وصاب السافل غرب ذمار، وشمال جبل رأس، فتسقي أراضي زبيد، ثم تصبّ في**البحر الأحمر** جنوب الفازة – غرب مدينة زبيد في الحديدة. ومياه وادي زبيد دائمة الجريان على مدار العام، ويغور أكثرها تحت الرمال فتظهر في الفازة. أما وادي بنا، فتبدأ مساقط مياهه من **بلاد يَرِيْم، وقاع الحقل – حقل في سفر الملوك ٢،١** والجبال المحيطة به، وتجتمع أسفل وادي **الحقل**، حيث توجد هناك آثار للسدود القديمة، وتمر مياهه في مضيق متعرج (ثلاثة كيلومترات تقريباً) قبل أن تهبط في وادي بنا، حيث تمرّ بموضع يدعى **السَّدّة –سدة** في التوراة، وتنضم إليه مياه **وادي حوره** – حورة في سفر الخروج، ووادي المسقاة، ووادي الأغبري النازل من الجهة الغربية من شخب عمار.

ثم يتجه وادي بنا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، لتصبّ مياهه من جديد وتلتقي بمياه **وادي دمت** – دمت في نصوص التوراة (حيث الحمامات الشهيرة اليوم بمياهها المعدنية العلاجية). بعد ذلك، تجتمع مياه أودية خبان النازلة من شلالات وادي المحفد، **ووادي الذاري– ءدرا في سفر الخروج**، ثم تتجه جنوباً إلى **دمت** حيث تلتقي بها أودية يَرِيْم الشرقية ومياه غرب جبن والحبيشية، وصباح من جنوب رداع وتمر شرق مُريس، وجبال الشعيب، وتنضم إليه أودية السوادية من جهة محافظة البيضاء وأودية الطفة وغرب يافع في محافظة الضالع، فتسيل بين بلاد المفلحي من يافع العليا، وجبال حالمين، ثم تنزل إلى وادي أبين وخنفر حتى تصب في البحر العربي شرق **مدينة عدن**.

هذا هو الفضاء الجغرافي المدهش للأراضي الخصبة التي تغطي جغرافية محافظات عدة وتدعى في التوراة **أرض مصريم**. لقد كان على **بني إسرائيل** أن يجتازوا كل هذه الوديان والجبال في طريقهم للقاء إلههم في البريّة المجدبة. ويمكن للمرء أن يتخيّل المشقة والعذاب في طريق الحجّ هذا، وأن يفهم المغزى الحقيقي لقولهم وهم يخاطبون موسى بمرارة، أنه (أخرجهم من مصريم) حيث كانوا يأكلون أطيب الطعام؛ بينما هم يتجهون الآن صوب البريّة في عمق أراضي لحج والضالع والبيضاء حيث المياه الشحيحة والأرض المجدبة. إن كثرة من الأسماء الواردة في وصفنا لوادي السحول والأودية التي تصبّ مياهها فيه، تتردد حرفياً في نصوص التوراة، وبعضها في سفر الخروج على وجه الحصر. **هذا هو الفضاء الجغرافي لمصريم - مصرن،** وهو في الماضي - كما اليوم - بقعة شديدة الخصوبة. لكن من أين أخذت هذه المملكة الصغيرة (التي تعرف اليوم بمحافظتي **إب وتعز**) اسمها هذا؟ من المؤكد أنها أخذته من اسم مملكة **معين مصرن** التي أسّستها قبائل معين **في الجوف اليمني**، وكانت من **أعظم ممالك اليمن**، وذلك بعد سيطرتها على الساحل وإخضاعه لنفوذها السياسي والتجاري.

٥: وادي السحول وأرض مصر

عرف اليمن القديم أودية عظيمة، كانت تعدّ الأكثر خصوبة بين سائر وديان المنطقة، لكن واديين بعينهما ظلا يلهبان خيال أهل اليمن على امتداد عصور وعصور، نظراً إلى خصبهما الشديد، هما واديا **رعين والسحول**. ومع ذلك، انفرد **وادي السحول** بمكانة خاصة. ولشدّة خصبه وغناه وجماله، فقد سمّاه القدماء (**مصر اليمن**). **والهمداني** يقدم لنا وصفاً دقيقاً لهذا **المخلاف** -

المملكة الذي عرف باسم الوادي (**مخلاف السحول**) **وهو مخلاف - مملكة صغيرة وقديمة اشتهرت بوفرة الحبوب حتى أثناء المجاعات**، حيث طوّر السكان هناك أساليب تخزين مذهلة ولا مثيل لها. هاكم **وصف الهمداني** (صفة: ٥٢) بلغة معاصرة[١٢]: امتازت عملية تخزين المحاصيل الزراعية وبشكل أخص الذّرة والشعير والقمح، بأنها قادرة على ضمان إبقاء الطعام صالحاً للاستهلاك لوقت طويل (وذلك يعني أن اليمنيين القدماء حتى عصر الهمداني المتوفى: ٣٣٤هـ، أي القرن العاشر الميلادي، نجحوا في ابتكار طرق تخزين مثالية) فالقمح والشعير والذّرة يمكنهما أن يصمدا ويقاوما الفساد لنحو ٣٠ عاماً متواصلة (وهذا ما رآه الهمداني بنفسه في منطقة **جبل مسور**). ولأن الذّرة تمتاز بكونها من المحاصيل التي لا تقاوم الحرارة، فقد ابتكر اليمنيون طرقاً مدهشة لخزنها، وذلك بحفر مخازن (مدافن) تحت الأرض يسع كل مدفن منها ما يقرب من طنّ أو أقل، ثم يجري إحكام إغلاقها بنوع من السدّادات المصنوعة من أوراق الأشجار. وحتى مع مرور وقت طويل؛ فإن الذُّرة بفضل هذا النمط من التخزين، سوف تحافظ على جودتها. وإذا كُشف المدفن، يجب ترك المحاصيل لعدّة أيام حتى تبرد ويسكن بخارها. وإذا ما جرّب أحد دخول المدفن أثناء فتحه، فسوف يتعرض للأذى جراء الحرارة.

في الواقع، ليس لدينا أي نصّ قديم، يمكن أن يصف وصفاً دقيقاً، نمط تخزين الطعام تحسباً للمجاعة ، أكثر دقة من وصف الهمداني لمدافن القمح والشعير والذُّرة في مخلاف السحول. وهو نمط قديم للغاية يدلّ على خبرة متوارثة. إن هذا التوصيف هو الذي يمكّننا من فهم قصة يوسف وخزنه للحبوب في مصر.

وكنّا قد رأينا من نصوص التوراة، أن **سبط يوسف** وصل إلى **مصرن - مصريم** قبل وصول أسرته وقبيلته. كانت محاصيل **السحول الزراعية وخيراته،** كما يخبرنا الهمداني، تُحمل بواسطة الجمال في كل سنة. وحدوده القديمة كانت تمتد من إب حتى **تعز**. لقد كان مخلاف السحول هو العاصمة الفعلية - ولكن غير الرسميّة - لمملكة معين مصرن. **تأسّست مملكة معين** (الدولة المعينية ١٥٠٠- ٨٥٠ ق.م) التي تُعرف عند علماء الآثار باسم مملكة (**معين مصرن** - مصر) على أيدي ملوك من حضرموت (نحو ٥ أُسر متعاقبة). إنّ دراسة الظروف التاريخية التي صاحبت نشوء هذه المملكة وصعودها، سوف تبيّن حقيقة أن الصراع بين حضرموت والجوف اليمني، كان يدور في شطر عظيم منه حول الدين والسيطرة على طرق التجارة الدولية، وأن انتصار المعينيين وصعود دور إلههم المركزي (**ود**) كان انتصاراً على إله الحضرميين الإله (**سين**)، وأنّ الدوافع الفعلية لقيام ملوك من أصول حضرمية بتأسيس مملكة موحّدة في الجوف، كانت تتمركز في محور دينيّ. لقد تحدّد جوهر الصراع في وقت مبكر حول مسألة عبادة **الإله سين** إله القمر. والقمر والشمس هما كوكب واحد في صورتين، كانا يجسدان في حضارة حضرموت القديمة (**رمزية الأمومة**)، أي رمزية **الأم والابن، كما رأيناها تتكرر في ثقافات اليمنيين: هاجر وإسماعيل، مريم وعيسى...** إلخ، ولكن هذه الرمزية سرعان ما انقلبت مع اندثار عبادة الإله (**سين**) الحضرميّة، وحلول الإله (**ود**) محله، ولتصبح في العصر الأبوي مع صعود مملكة معين الجوف، تجسيداً لرمزية **الأب والابن**. وهذا ما سوف يتكرر في ثقافات اليمنيين: **إبراهيم وإسحق، داود وسليمان...** إلخ. ويبدو أنّ بعض ملوك حضرموت المتأخرين أدركوا أن حضارتهم في طريقها للانهيار نحو

٨٥٠ ق.م، لذا انشق آخر ملوكهم عن الديانة الرسمية، وسعوا إلى تأسيس مملكة موحّدة تشمل الجوف، يكون معبودها الرئيس **الإله ود إله القمر**، والتخلي عن الإله **القديم سين**. والقرآن يذكر اسمَي هذين الإلهين في بعض الآيات، فقد ورد ذكر الإله **ود** في آية (**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**)[١٣]. أما الإله **سين**، فقد ورد في سورة **يس** - **وتُقرأ** يسين- (**يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**). والياء في الاسم القرآني **يسين**، هي الياء الحميرية اللاصقة، مثل: **يعرب في عرب، ويكرب في كرب**، والأصل هو **سين**، وهذا هو اللقب الديني لملوك بابل القدماء، **مثل نرام سين**[١٤].

لقد كان عالم الآثار البريطاني **فيلبي** أول من قرأ **النقش المعيني** الذي ورد فيه اسم المملكة في صورة (**معين - مصرن**)، وذلك نحو عام ١٩٥٣. وهذا النقش يتحدث عن حرب وقعت بين (**مدي**) و (**معين مصرن**)، فافترض البعض مثل **هومل والبرايت**، وحتى **فيلبي** نفسه، أن **مدي تشير إلى المديانيين** سكان أرض **مديان - مدين**، وهي أرض واسعة افترضوا خطأً ودون أي دليل أركيولوجي، أنها تمتد من خليج العقبة إلى موآب وسيناء المصرية. ولم يكن هذا التقدير غير الحصيف سوى خيال استشراقي، بنى عليه بعض الباحثين سرديات تاريخية زائفة، تزعم أن **مدي هي مديا الفارسية** و**مصر** هي البلد العربي وبالطبع، فالتاريخ لا يعرف مثل هذه المعارك الوهمية الشائعة في كتب التاريخ. والصحيح أنّ الحرب وقعت بين **قبائل مدي** (التي تسكن **حجة** اليوم، وفيها ميناء شهير بالاسم نفسه: ميناء مدي) و**مملكة الجوف**

التي يسميها النقش **معين – مصرن، أي معين المصرية**. وبكل تأكيد، فإن الصدام بين مملكة **معين مصرن وقبائل مدي في حجة**، كان هدفه السيطرة على الميناء الساحلي المعروف باسم ميناء مدي وضمّه إلى **مصرن**، وهذا أمر تمّ في سياق طموح المعينيين إلى قيادة التجارة العالمية عبر البحر. وقد ورد في نقش ١١٥٥ Glaser اسم أرض دعيت **أشور**، وورد معها اسم **مصر**. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ **أشور** هي البادية. أما **هومل وكلاسر**، فذهبا إلى أنّ المراد بها أرض تقع على حدود **مصر**، سكنها شعب **دُعي** في التوراة بـ (**أشوريم** Asshurim)، وكان هؤلاء من العرب البدو ، يقيمون سوية مع **لطوشيم** Lutushim **ولويميم**. لذا، تبدّى ورود اسم هؤلاء في نقش معيني يتطابق رسم الاسم فيه مع التوراة، ليؤكد أن المقصود **بمعين مصر** مملكة معين الجوف، وليس مصر البلد العربي. والنص نفسه يشير إلى قبائل يمنية، منها قبائل **خولان** التي أغارت على قافلة للسبئيين ومن المهمّ للغاية ملاحظة أن الإله المركزي (القومي) لمملكة **معين – مصر** هو **الإله ود. ومنه جاء اللقب ذو ود** الذي أصبح اسماً في صورة **داود**، ويكتب في العبرية في **صورة دود** (ذو– ود)[١٥]. ومما يدعم هذا التأويل أنّ داود هو الأب وسليمان هو الابن، وهذه صورة نموذجية تتكرر في عقائد العرب القدماء (إبراهيم – إسماعيل)... إلخ.

وحسب ما ذكرت النقوش، فقد كان المعينيون يكتبون نصوصهم الدينية بلغة سوف تعرف باسم (**الكنعانية**)، وإن لقب **الكنعانيين** أطلق على هؤلاء، وبالتالي سوف ينصرف وصف التوراة لأرضهم إلى (أرض المعينيين – الكنعانيين) وليس الفلسطينيين كما هو شائع، وهي أرض امتدت من الجوف وبلغت **إب وتعز والحديدة. هذه هي مصريم التوراة**

(مصريم - مصرن)، وهي أرض كنعان (أرض المعينيين التي بلغت الساحل وكانت تضم مناطق مجدبة مثل لحج والضالع والبيضاء) طبقاً للنقوش والسجلات القديمة، ولا علاقة لها بمصر البلد العربي أو فلسطين. وتاريخ ظهور هذه المملكة يتطابق مع التاريخ الذي افترضه العلماء لما يدعى خروج موسى من مصر، أي نحو ١٥٠٠-١٣٠٠ ق.م. ونؤكد مرة أخرى، أن مصر البلد، العربي، لم تُعرف بهذا الاسم في هذا التاريخ قط، وعرفت به بعد مضي نحو ألف عام من هذا التاريخ. وهذا ما ينفي كلياً أي ارتباط بين قصص التوراة ومصر. كما نعيد التأكيد أن مصطلح (كنعاني) في التوراة مثل (عبراني - قحطاني، عدناني) لا يعني عرقاً أو شعباً أو قومية أخرى غير عربية - يمنية؛ بل هو توصيف قصد به تمييز جماعة دينية عن جماعة دينية أخرى.

الهوامش

(١) شلومو ساند ، اختراع أرض إسرائيل (ترجمة أنطوان شلحت -فلسطين رام الله عام ٢٠١٣)، وأيضا اختراع الشعب اليهودي (٢٠٠٩ -دار مدار-فلسطين).

(٢) انظر مؤلفاتنا مثلاً : القدس ليست أورشليم، حقيقة السبي البابلي، أسطورة عبور الأردن الصادر في بيروت عن شركة رياض الريس للكتب والنشر - بيروت.

(٣) إن التمعّن في صيغة الاسم، سوف يكشف لنا جزءاً من التاريخ الغامض لتطور اللغات القديمة ومنها لغات - لهجات اليمن والعرب، فالنون هنا هي النون الكلاعية، نسبة لمخلاف الكلاع اليمني. وسكان هذا المخلاف وحدهم من يضيف النون إلى آخر الاسم مثل عرب - عربن، عدن - عدنن، صنعا - صنعن... إلخ. والتوراة هي النص الوحيد بين النصوص الدينية القديمة التي نجد فيها استخدام هذا الحرف اللاصق، بما يؤكد لنا أن العبرية لهجة من لهجات اليمن، استخدمتها القبائل في كتابة نصوصها الدينية، ولم تكن لغة للتواصل، لذا كان الكهنة الذين دوّنوا النصوص الدينية يكتبون الأسماء كما ينطقونها: يثرو - يثرون.

(٤) حول اسم مصر في التوراة والنقوش الآشورية واليمنية القديمة - كتاب ضمن هذا المجلد.

(٥) ومنها جاء الاسم صنعاء.

(٦) بدأ حكمه وهو يحمل لقب (مكرب) ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه لقب (ملك سبأ) وكان من أشهر مكربيّي سبأ، وقد ذكره الملك الأشوري (سنحاريب) باسم (كريبي ايلو) نحو عام ٦٨٥ ق. م تحدث فيه عن هدية أرسلها إليه هذا المكرب. وهناك خلاف بين الباحثين حول العصر الحقيقي الذي حكم فيه، وبعضهم يرى أنه حكم في نهاية القرن الخامس ق. م (٤٥٠- ٤١٠ ق.م). بينما يرى آخرون أن حكمه يعود إلى القرن السابع ق.م، حيث

حكم مدة عشر سنوات مكرباً، ثم حكم بصفته ملكاً. وبرأينا، إنه عاصر الملك الأشوري (سنحاريب) الذي تعود فترة حكمه إلى بداية القرن السابع ق.م. وهذا هو التاريخ الفعلي لسقوط مملكة معين الجوف.

(٧) هكذا يكتب الاسم في النقوش وحتى اليوم يرسمه اليمنيون بهذه الصورة.

(٨) (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

(٩) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن [٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ] المحقق: أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. ص (٢/ ١٣٣).

(١٠) معاني القرآن للفراء، ص: ١/ ٣٧.

(١١) فرويد، موسى والتوحيد: ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة، بيروت ١٩٧٧.

(١٢) هنا النص الأصلي كما كتبه الهمداني بأسلوبه الكلاسيكي: ورعين والسحول مصر اليمن لأن الذّرة والبرّ والشعير تبقى في هذه المواضع المدة الكثيرة، ورأيت بجبل مسور برّاً أتى عليه ثلاثون سنة لم يخنز ولم يتغير، فأما الذرة فإنها لا تكون إلا في بلد حار ولا تختزن في البيوت، لحالما يسرع إليها من الفساد، ولكن يحفر لها في الأرض وتدفن في مدافن، يسع المدفن منها خمسة آلاف قفيز إلى ما هو أقل، ويسدّ عليها حتى ربما نبت على السداد الشجر العري وتقدم العمر ولا تنفخش، ولكن تتغير رائحتها وطعمها؛ فإذا كشف منها المدفن ترك أياماً حتى يبرد ويسكن بخاره، ولو دخله داخل عند كشفه لتلف بحرارته وهذا المخلاف واسع.

(١٣) سورة نوح.

(١٤) نرام سين ٢٢٣٠ ق.م هو حفيد سرجون الأكدي. في عام ٢٣٥٠ ق.م أصبح سرجون الأكدي ملكاً على كيش جنوب العراق، ثم اتسعت مملكته لتشمل العراق بكامله وغرب إيران وجنوب الأناضول فبلاد الشام. استمرت الإمبراطورية الآكدية تحكم سورية ١٢٠ عاماً وأرست نظاماً فيدرالياً، بيد أنها انهارت بسبب ضعف الملوك الذين خلفوا نارام سين.

(١٥) كنتُ قد شرحت هذه المسألة في كتابي شقيقات قريش الصادر في بيروت عن شركة رياض الريس للكتب والنشر.

الهروب من (مصر) الأخرى

أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَيم لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهاً. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ

سفر الخروج: الإصحاح الْخَامِسَ عَشَرَ: ٤١

ما تؤكده هذه الآية هو الآتي: أنّ الرّب أخرج **بني إسرائيل** من **مصريم – مصرن**، وأنّ أمر الخروج كان لغرض دينيّ محدّد، يمكن تلخيصه في فكرة مركزية مفادها، أنّ امتلاك دين خاص وإله خاص، يتطلب هجرة دينية تقطع مع الجماعات والنظم الثقافية الأخرى، وأنّ المهاجرين سوف يكون لهم إلههم الخاص، لا تمييزاً لهم عن الجماعات الوثنية وحسب، بل ليصبحوا ممتلكين للفارق الذي سوف يجعل منهم شعباً مختاراً. وهذا هو الباعث

الحقيقي لهجرة جماعية فيها كل صنوف العذاب والجوع وشقاء الترحال، يخرجون فيها من الخصب إلى الجدب، وهذه ذروة الإيمان بالإله، تماماً كما يصوم العبد عن الطعام وينذر نفسه لجوع طويل. إنه رمزياً يخرج من (عالم الشبع)، أي الخصب إلى عالم الجوع (الجدب). وهم في سبيل هذا الهدف يجب أن يقيموا طقوسهم الجديدة في أماكن طاهرة، يفتشون عنها دون كلل، ويضفون عليها كل ما يلزم من القداسة. وهذا النصّ يؤكد بشكل قاطع أن الخروج لم يكن لأي سبب أخر سوى تنفيذ أمر الرّب بلقاء الجماعة البشرية لتتخذ منه إلهاً أعظم. ما يثير اهتمامنا في سفر الخروج، أنّ **رحلة الحج الجماعية** هذه قصدت **جبل قدس קדש** وهذا ما نراه بوضوح تام حين نعيد قراءة السفر من منظور جديد.

إنّ قداسة هذا الجبل المستمرة والمتواصلة حتى اليوم، جنوب غرب محافظة تعز، حيث نجده باسمه (**جبل قدس المبارك**) يمكن أن تُفهم بعمق أكثر، حين نعيد ربطها بطقوس الحج الموسوي هذه. لكن قبل أن يتواصل هذا الخروج الإسرائيلي الكبير، وفقط بعد سنتين من الفرار من **مصريم**، أي مصر الأخرى، توقف الموكب البشري الضخم ووقف موسى ليطلب من جميع الأسباط، أن يجتمعوا لبناء **القبّة المقدّسة** (خيمة العهد) وإقامة **الطقوس الدينية** فيها. هذا الفرار الجماعي لم يكن فراراً من الفرعون، بل للقاء المخلص. فهل يمكن فهم سفر الخروج - في هذه الحالة - على أنه **رحلة حج**؟

سوف أتناول في هذا الفصل بعض الأفكار المركزية وأضعها - تسهيلاً للقرّاء غير المتخصّصين - في نقاط محدّدة:

أولاً: هجرة دينية إلى أرض الميعاد

ما يمكن قوله عن **أسفار الحج التي قادها موسى**، حين **أسرى بقومه** - بحسب تصوّر القرآن - أنها لم تكن رحلة هجرة جماعية حدثت مرة واحدة، فراراً من الفرعون كما هو التصوّر الشائع، بل كانت سلسلة أسفار، انتهت في كل مرة بتقديس أماكن عبادة جديدة للإله الذي اختار شعبه. وليس ثمة ما يدعونا في ضوء تحليل النص العبري (وليس العربي المشوّه) إلى الاعتقاد أنّ هروباً (خروجاً) إسرائيلياً من مصر، حدث آنذاك بفعل بطش الفرعون، وأنّ المهاجرين الباحثين عن لحظة اللقاء بإلههم الجديد الذي اختارهم وآمنوا به، كانوا جائعين وخائفين. كل هذه التصوّرات هي نتاج قراءة خاطئة للنصّ. لقد توقفوا مراراً خلال هذا الحدث لينحروا القرابين، ثم أمرهم موسى مرات ومرات أن يتوقفوا لبناء قبّة الرّب أو خيمة عهده، كما دعاهم لتقديم الذبائح المقدّسة تقرّباً منه. وكان لدى موسى ما يكفي من الوقت ليأمر الكهنة اللاويين أن يخيطوا ثيابهم ويطرّزوها بخيوط الذهب. وعلى الضّد من كل التصوّرات الشائعة عن سفر الخروج، فسوف نرى فيه سرديّة دينية كتبت في فترات حجّ مختلفة، أي في مواسم حجّ متعاقبة وخلال أشهر بعينها، وهذا ما يتّضح بجلاء من التباينات في لغة النصّ وفي تكرار أسماء المواضع. كما يدفعنا النص إلى قناعة راسخة بأن السرديّة الدينية تدور حول مواسم حج استمرت طويلاً، ولم تكن دفعة واحدة ولمكان واحد. وكمثال على ذلك، سنعطي المشهد التالي من **سفر العدد** الذي لا يدلّ على **ضياع الجماعة وتيهها في الصحراء**، كما لا يدلّ على الفرار.

لقد توقفوا وشرعوا في **بناء القبّة**، كما يسرد ذلك **سفر العدد** بالتفصيل (٧ Numbers/ ١ – سفر العدد/ الإصحاح السَّابعُ ٩:١).

ويوم فرغ موسى من إقامة المسكن ومسحه وقدسه وجميع أمتعته والمذبح وجميع أمتعته ومسحها وقدّسها **ויהי ביום כלות משה להקים את המשכן וימשח אתו ויקדש אתו ואת כל כליו ואת המזבח ואת כל כליו וימשחם ויקדש אתם:**

قرّب رؤساء إسرائيل رؤوس بيوت آبائهم وهم رؤساء الأسباط الذين وقفوا على المعدودين. **ראל ראשי בית אבתם הם נשיאי המטת הם העמדים על הפקדים:**

أتوا بقرابينهم أمام الرب ست **عجلات مغطّاة واثني عشر ثوراً**. لكل رئيسين **عجلة** ولكل واحد **ثور** وقدموها أمام المسكن. **ויביאו את קר־בנם לפני יהוה שש עגלת צב ושני עשר בקר עגלה על שני הנשאים ושור לאחד ויקריבו אותם לפני המשכן:**

فكلم الرب موسى قائلاً: **ויאמר יהוה אל משה לאמר**

خذها منهم فتكون لعمل خدمة خيمة الاجتماع وأعطها للاويين لكل واحد حسب خدمته.**קח מאתם והיו לעבד את עבדת אהל מועד ונתתה אותם אל הלוים איש כפי עבדתו:**

فأخذ موسى **العجلات والثيران** وأعطاها للاويين. **ויקח משה את העגלת ואת הבקר ויתן אותם אל הלוים:**

فلماذا ولأي غرض يقدّم **موسى الثيران والبقر للرّب**، وهو يقود جماعة يُفترض أنها هاربة من بطش **الفرعون**؟ وهل هذا المشهد يدلّ على أنها جماعة تائهة وجائعة في صحراء؟

من الواضح أنّ طقس تقديم **الذبيحة المقدسة**[1] وبشكل أخص **تقديم الثيران** والأبقار في موضع جبلي شاهق، ليس تقليداً مصرياً مألوفاً، كما أن علم الآثار – حيث نقب العلماء وبشكل أخص الإسرائيليون في سيناء خلال احتلالها عام ١٩٦٧، وفي أرض فلسطين طولاً وعرضاً طوال ٧٠ عاماً – لم يقدم أي دليل على وجود مذابح صخرية عملاقة، أو متعدّدة ومتنوعة وتتسع لهذا العدد من الأضحيات. وبكل يقين، **فإن تقاليد تقديم الثيران والبقر في المعابد الدينية هو من التقاليد الدينية اليمنية القديمة، وحتى اليوم يمكننا رؤية المذابح الصخرية الصغيرة والعملاقة في طول اليمن** وعرضه، حيث منحوتات **رؤوس الثيران** تزيّن المعابد والمواضع الجبلية. فما علاقة طقس تقديم الثيران بطقوس **المكربيين السبئيين في اليمن**؟ ولماذا ترد في نصوص التوراة كلمة (**كروبيم**)، أي المقرّبين أو المقدّسين أو الملائكة، وما علاقتهم **بالمكربيين** الذين حكموا في الدور السبئي الأول؟ إنه لمن المثير، أن يأمر موسى الكهنة اللاويين بتطريز ثيابهم بصور **الكروبيم** (الكروبيون) بوصفهم ملائكة الرّب، بينما نعلم من التاريخ اليمني القديم أن **كرب** – **مكرب** هو لقب الكاهن – الملك اليمني السبئي، وهذا يعني أن أسفار الخروج، العدد، التثنية، قد تكون كتبت في صورتها الراهنة خلال العصر السبئي الأول، حين كان الكاهن – الملك هو من يحكم مملكة سبأ التي قامت على أنقاض مملكة معين مصر (معين مصرن).

ظهرت كلمة **سبأ** مبكراً في التاريخ العراقي القديم - في الكتابات السومرية - نحو ٢٥٠٠ ق. م. لتدلّ على اسم قبيلة كانت تتاجر بالأحجار الكريمة والبخور، وهذا أمر مثير، لأنه يؤكد حقيقة أن الهجرات الكبرى المؤسّسة لحضارات المنطقة، انطلقت من اليمن. وقد ارتأى عالم الآثار **ملاكر** Mlaker أنّ حكم **المكربيين** بدأ سنة ٨٠٠ ق. م، وانتهى في سنة ٦٥٠ ق. م. لكن هذا التقدير لا يبدو دقيقاً مع المكتشفات الأثرية الجديدة.

ثانياً: كروبيم ومكاربة؟

فما العلاقة الدلالية والدينية بين اسم **كروبيم ومكربيون** الذي استخدمه ملوك اليمن كلقب ديني؟ كان المكرب الأخير **كرب ء يل وتر** ٦٥٠ ق.م، قد تخلى عن لقبه الديني هذا، وتلقّب بلقب ملك. وبذلك، يكون أول من فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية. لقد ترك مركزه الديني القديم المتوارث، لصالح **الكهنة**. تعني كلمة **كروبيم** العبرية **כרובים** ملائكة، مقدّسون، أثريون - كما في الصابئية المندائية - وهذا هو المعنى ذاته لكلمة **مكرب** اليمنية أو مقرّب العربية. وهي كما يُلاحظ مستمدّة من وظيفته الروحية، فهو مقدّم (مقرّب) القربان للإله. وبرأينا، إن النصوص التوراتية التي تتحدث عن **الكروبيم**، تعود في الأصل إلى الدور السبئي الأول، حين اندمجت سلطة الملك بسلطة الكاهن. ويبدو أن بعض الفقهاء المسلمين المتأخرين (في العصر المملوكي) تنبّهوا إلى هذا الجانب من المسألة، ففي تعريفه للكلمة ارتأى الإمام السيوطي[٢] ما يأتي:

"إن ملائكة الرحمة هم الروحانيون بفتح الراء من الروح، وملائكة العذاب هم الكروبيون سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم

المقربون من كرب إذا قرب، وفي تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم: سئل أبو الخطاب **بن دحية** عن **الكروبيين هل يُعرف** في اللغة أم لا؟ فقال: **الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون**".

لقد جسّد **المكرب** (المكربيون) **في اليمن** فكرة الجمع بين وظيفتي الملك والكهانة، النبوّة والملك، ولذا أصبح **داود وسليمان في المثيولوجيا الإسلامية نبيَّين وملكين**، لكن نصوص التوراة لا تشير البتة إليهما **كنبيَّين**. وعلى الأرجح؛ فإن التقاليد الإسلامية هي التي كرّست هذه الصورة في سياق استعادة متأخرة لحقبة **المكربيين**.

وهنا النص التوراتي عن قيام **سليمان** ببناء الهيكل المرصّع برسوم ذهبية **للكروبيم**: ٣٢ ملوك ١

والمصراعان من خشب الزيتون. ورسم عليهما نقش **كروبيم** ونخيل وبراعم زهور وغشّاهما بذهب ورصّع **الكروبيم** والنخيل بذهب. **ושתי דלתות עצי שמן וקלע עליהם מקלעות כרובים ותמרות ופ־טורי צצים וצפה זהב וירד על הכרובים ועל התמרות את הזהב**

وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة **וכן עשה לפתח ההיכל מזוזות עצי שמן מאת רבעית:**

ومصراعين من خشب السرو. المصراع الواحد دفّتان تنطويان والمصراع الآخر دفّتان تنطويان. **ושתי דלתות עצי ברושים שני צלעים הדלת האחת גלילים ושני קלעים הדלת השנית גלילים:**

ونحت كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشّاها بذهب مطرّق على المنقوش. **וקלע כרובים ותמרות ופטרי צצים וצפה זהב מישר על המחקה:**

هذه المقتطفات عن الكروبيم في التوراة، هدفها رسم إطار ثقافي – روحي جديد لفهم النصّ الخاص بالخروج الديني لملاقاة الرّب في البرّية. وهاكم نصّاً آخر عن طقوس تقديم الذبيحة (النقوش التي تركها المكاربة في المعابد تتحدث عن طقس ذبح الثيران). لكن علينا أن نتذكر أن الطقوس التي قام بها (ما يزعم أنهم هاربون) من مصريم، لا تشير إلى أنهم كانوا تائهين في صحراء لأربعين عاماً، بينما هم ينحرون الثيران، ويقيمون الصلاة وشعائر الحج هذا يعني أنهم ليسوا فارين، بل مهاجرون في هجرة دينية سنوية لتقديم الذبيحة طوال أربعين عاماً، وكانوا خلالها يطوفون في أماكن مقدّسة كثيرة، أو يقدّسون أماكن جديدة. هاكم ما يقوله سفر اللاويين ١٥:٩:

ثم قدّم ثور الخطيئة ووضع هرون وبنوه أيديهم على رأس ثور الخطيئة **ויגש את פר החטאת ויסמך אהרן ובניו את ידיהם על ראש פר החטאת**

فذبحه وأخذ موسى الدم وجعله على قرون المذبح، مستديراً بإصبعه وطهّر المذبح ثم صبّ الدم إلى أسفل المذبح وقدّسه تكفيراً عنه. **וישחט ויקח משה את הדם ויתן על קרנות המזבח סביב באצבעו ויחטא את המזבח ואת הדם יצק אל יסוד המזבח ויקדשהו לכפר עליו**

وأخذ كل الشحم الذي على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما وأوقده موسى على المذبح **ויקח את כל החלב אשר על הקרב ואת יתרת הכבד ואת שתי הכלית ואת חלבהן ויקטר משה המזבחה**

سأعطي هنا فكرة موجزة عن بضعة معابد يمنية، عرفت هذه الطقوس في الدور السبئي الأول (عصر المكاربة نحو ٦٥٠ - ٨٥٠ ق.م عند بعض علماء الآثار)، أي قبل كتابة التوراة بنحو قرن ونصف أو ثلاثة قرون ونصف، وهي استمرت حتى مطالع الميلاد، منها معبد **رئام** ومعبد **ترعت** حيث تفرض الطقوس الدينية تقديم الذبيحة، شريطة أن يكون الذبح في الوادي وليس في المعبد عند القمة، وأن يتمّ غلق الوادي لمنع جريان الدماء. إن تقاليد **ذبح الثور**، هي تقاليد دينية يمنية نجد صداها في التوراة، إذ تذكر نصوص دينية كثيرة سجلها اليمنيون في نقوشهم، أن الإله (**تألب**)، وهو إله قمري كان يحظى بمكانة فريدة في اليمن، أمر أتباعه من طريق الوحي أن يذبحوا **سبعمائة من الثيران والأبقار والأغنام** في اليوم الواحد. كما فرض على أتباعه أن تكون الماشية التي **تذبح صحيحة وسليمة، تماماً كما في النصّ القرآني عن البقرة** التي لا شيّة فيها[٣]. وهذا عدد هائل لا يضاهيه سوى العدد الكبير من الثيران التي قدمها موسى وقد سجل لنا الهمداني بعض وقائع هذه الطقوس التي ظلت أصداؤها متواصلة في اليمن حتى عصره، من ذلك إشاراته الثمينة إلى معبد الإله ريام فيقول: أما ريام فإنه بيتٌ - كان متنسكاً - **ينسك عنده ويُحج إليه**، وهو على **رأس جبل أتوة** من بلد همدان، ينسب إلى رئام بن نهفان بن بتع بن زيد بن عمرو بن همدان، وحوله مواضع كانت الوفود - تتخذها - أماكن إحرام (كان رئام بيتاً لهمدان **تحج إليه العرب وتعظمه**، وقد بقى منه شئ قائم إلى اليوم - وهي سنة ثلاثين وثلاثمئة هجرية).

وسوف نرى مغزى هذا التوصيف، حين نعلم أن رحلة الحج التي قادها موسى وصلت **جبلاً يدعى (أتوة)** وهذا أمر مثير للاهتمام، لأنه يكشف عن نوع التطابق في أسماء المواضع الدينية. ومن غير المقبول تجاهل هذا الأمر أو

التقليل من قيمته، فالسفر يؤكد أنهم بلغوا **جبل أتوة** وقاموا **بطقوس تقديم الذبيحة المقدسة،** كما يؤكد أنهم وصلوا معابد أخرى.

ومن أهم هذه المعابد التي عرفت طقوس تقديم المواشي بهذه الأعداد الكبيرة، **معبد جبل ريام** ومدينته **أتوه،** ومعبد **ترعت - رع** بإسقاط التاء اللاصقة في أول الاسم وآخره. ومن اسم رع هذا جاء اسم المدينة المزعومة التي بناها بنو إسرائيل ودعيت (رعمسيس) رع - م - سيس. ويستدل من معاينة ميدانية لهذه المعابد، أنها كانت تشمل مساحة كبيرة من أراضي الجبل، حيث تنتشر المنشآت الدينية. ومن المؤكد أن هذه المساحات الكبيرة كانت مكرّسة لاستيعاب أعداد كبيرة من الحجاج. ويمكننا تخيّل هذه الأعداد حين نعلم أن أعداد الماشية التي كانت تذبح في كل يوم قد تبلغ نحو (**سبعمئة ثور وبقرة**). واليوم، يمكننا أن نعثر في جبل ريام وفي خرائب **مدينة أتوه** على الكثير من بقايا تلك الطقوس الدينية. والمثير، أن عالم الآثار النمسوي **إدوارد جلازر** Glaser.E وصف بعض المعابد بأنها بنيت على شكل (**قبّة**)، وهو ما يعيد تذكيرنا **بخيمة العهد أو القبة** التي كان **موسى** يقيم فيها طقوس تقديم الثيران. وليس دون معنى أن سفر الخروج يتحدث عن وصول موسى إلى **أتوة** هذه؟ فهل حجّ موسى وبنو إسرائيل إلى **معبد أتوة في عصر مملكة معين مصر**؟ وهل طقس تقديم الثيران، هو ذاته الطقس اليمني القديم المستمر منذ عصر موسى؟ لقد عثر **جلازر** في بعض هذه المعابد على ألواح **حجرية منصوبة** فيها كتابات دينية يعود تاريخها إلى القرون الميلادية الأولى. وهذا يعني أن طقوس ذبح الثيران والأبقار ظلت متواصلة لوقت طويل. فهل يمكن فهم الطقوس التي قام بها **موسى** في خيمة المسكن المقدس (**القبة**) بعد عامين من الهجرة من

مصر اليمن، بوصفها **طقوس بيئة جبلية قاسية، تنتشر فيها مذابح صخرية ووديان** عميقة مغلقة تمتلئ بدماء الأضحيات.

هذه البيئة لا يمكن أن تطابق بأي صورة من الصور بيئة صحراء **سيناء المصرية**

ثالثاً: تصوّر أوليّ لمواسم الحجّ في اليمن القديم

سأقدم هنا وصفاً أولياً متسلسلاً لهجرة بني إسرائيل بقيادة موسى، موضعاً أثر موضع. إن الغرض من هذا التقديم الأوليّ، هو تبيّان الظروف التي جرت فيها طقوس الحجّ موسميّاً، وسوف نفرد فصلاً خاصاً لتتبع أسماء هذه المواضع في خريطة اليمن. ولتحديد وظيفة هذا الجزء من الفصل بالنسبة إلى القرّاء غير المتخصصين، سأكتفي بالتأكيد مرة أخرى للفكرة ذاتها: إن ما أفتش عنه ليس التشابه في أسماء المواضع والأماكن، فهذا أمر لا يثير أدنى اهتمام بالنسبة إليّ، وبدلاً من ذلك، سأرسم إطاراً دينياً – ثقافياً مستنداً إلى النقوش والأدلة العلمية، للبيئة التي جرت فيها أحداث التوراة وقصصها ومروياتها. وسوف يكون مراً مدهشاً لنا حين نعلم، أن الجماعة وبعد أن قامت بأداء شعائر وطقوس الحج في السنة الثانية من خروجها من **مصرن**، عادت لتواصل هجرتها، وهو ما يؤكد أنها لم تكن هاربة، بل كانت في رحلة حج متواصلة. وهنا النص:

الإصحاح التَّاسِعُ: ١٥ : ١٨

(وَفِي يَوْمِ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ، غَطَّتِ السَّحَابَةُ الْمَسْكَنَ، خَيْمَةَ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ عَلَى الْمَسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلَى الصَّبَاحِ. هكَذَا كَانَ دَائِمًا. السَّحَابَةُ تُغَطِّيهِ وَمَنْظَرُ النَّارِ لَيْلاً. وَمَتَى ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْخَيْمَةِ كَانَ بَعْدَ ذلِكَ بَنُو

إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَفِي الْمَكَانِ حَيْثُ حَلَّتِ السَّحَابَةُ هُنَاكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْزِلُونَ. حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ).

وهكذا، وبعد شهر واحد من خروجها – أي في شهر الحج – وحين كانت الجماعة في طريقها إلى تقديس أماكن اللقاء بالإله الذي اختار شعبه، وجدوا أن السحاب كان يصاحبهم في حلّهم وترحالهم. وهذه هي رمزية الرّب الذي تجلى في صورة غيمة سماوية تغطي المكان مساءً وصباحاً. وحين كانوا يرتحلون وينزلون تهبط الغيمة الربّانية، لتواصل الجماعة الدينية هجرتها.

كما نقرأ في الإصحاح الْعَاشِرُ: ١١: ١٣ ما يأتي:

(وَفِي **السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ**، ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنْ مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ. فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلاَتِهِمْ مِنْ **سفوح صنه**، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي **سفوح فَارَانَ**. ارْتَحَلُوا أَوَّلاً حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ عَنْ يَدِ مُوسَى).

إن تتبع خط **رحلة الحج** هذه، سوف يقودنا إلى التعرّف إلى جغرافية الطقس الدينيّ. لقد اتجهوا من سفوح **جبل صنة** (وليس جبل سيناء)، وهم يتبعون الغيمة الرّبانية حتى سفوح **فاران**. ومن هناك واصلوا أسفارهم. وفي هذا المشهد ضجّت الجماعة من الجوع خلال الرحلة الشاقة، ورأت إلى **مياه البحر الهائج وقد قذفت الزبد فصعد إلى جبل المحنة** (الإصحاح العاشر: ٣٣: ٣٥).

وأودّ تنبيه القرّاء هنا إلى أن المترجمين الذين يجهلون هذا الاسم (**جبل المحنة**) رسموه في صورة (**المحلة؟**) برغم أن التهجئة في النص العبري هي **המחנה**، وهذا الاسم لا يتضمن حرف اللام؟

هاكم النص: ١٠:٣٤:٣٠

ثم انحاز موسى إلى المحنة هو وشيوخ إسرائيل. **ויאסף משה אל המ-חנה הוא וזקני ישראל:**

فخرجت ريح من قبل الرب وساقت **سلوى من البحر** وألقتها على **المحنة**، نحو مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالي **المحنة** ونحو ذراعين فوق وجه الأرض. **ורוחנסעמאתיהוהויגזשלויםמןהיםויטשעלממחנהכדרךיוםכהוכדרךיוםכהסביבותהמחנהוכאמתים-עלפניהארץ:**

فقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد وجمعوا السلوى. فجمعوا عشرة أطباق. وسطّحوها لهم مساطح حوالي **المحنة** **ורוח נסע מאת יהוה ויגז שלוים מן הים ויטש על המחנה כדרך יום כה וכדרך יום כה סביבות המחנה וכאמתים על פני הארץ**

في الواقع لا توجد في سيناء عزلات جبلية باسم **(صنة أو صينة، أو صن)** حسب الصيغ التي رأيناها في نصوص التوراة، كما لا توجد منطقة جبلية باسم **فاران** أو **المحنة**، ولا يوجد هناك وفي قلب الصحراء بحر يقذف الزبد في حالة هياج.

يستحيل على المرء تخيّل أن الهاربين من مصر كانوا يمشون في صحراء سيناء، وهم يسوقون هذه الأعداد الهائلة من الثيران والأبقار، ويسيرون ثم يتوقفون ويعاودون السير، كلما لاح لهم الغمام وبالطبع، يصعب تصديق أن هؤلاء – وهم هاربون من الفرعون – يمكن أن يتوقفوا لأيام ليقدّموا

القرابين أو لينشغلوا في تزيين قبة الرّب أو لالتقاط السلوى على مسافة يوم كامل من المشي هذه النصوص وسواها من سفري **الخروج والعدد**، ترسم صورة بيئة دينية خاصة لا يمكن مطابقتها مع البيئة الدينية المصرية في عصر موسى لكننا، بخلاف هذا، سنجد أماكن مقدّسة في اليمن كانت مواضع الحجّ الأول وبالأسماء نفسها.

تقع **عزلة الصنة** في محافظة **تعز ضمن مديرية المعافر**. وعلى مقربة من هذا المكان، وفي المديرية ذاتها سنجد **فاران**. تقع **فاران** في **محافظة تعز ضمن مديرية المعافر، حيث توجد عزلة الشعوبـه وفيها قرية تدعى قرية الانبوه تتبعها محلة فران**. وإذا ما سلكنا الطريق ذاتها التي سلكها الحجاج في طريقهم إلى **قدش - قدس**، فسوف نشاهد **جبل المحنة** على تخوم **تعز** مع **محافظة لحج**، ضمن مديرية المضاربه والعاره، حيث توجد عزلة ورد ذكرها في التوراة بالاسم نفسه: **عزلة العاره**. وهناك سنجد **المحنة** بالاسم نفسه في صورة **قرية تدعى المحنـه، وهي من قرى المديرية الساحلية في لحج وعلى مقربة من البحر وهذا مدهش، إذ يمكننا تخيّل كيف قذفت الأمواج الهائجة ما اعتبره الحجاج طعاماً سمَّوه السلوى** واسم **(المحنة)** يتكرر في مدن كثيرة باليمن، منها مثلاً في محافظة إب وضمن مديرية السده سنجد عزلة الاعماس وفيها قرية **بيت محن**. وفي الواقع، لم أجد أي مبرر لكتابة الاسم في النسخة العربية من التوراة في صورة (المحلة)، مع أن التهجئة العبرية تتضمن الحروف الآتية (هـ ـ م – ح – ن – هـ).

يضيف النصّ التوراتي ما يأتي:

وإذّ كان اللحمُ بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حميَ غضبُ الرَب على الشعب

وضرب الرّب الشعب ضربة عظيمة جداً. **הבשר עודנו בין שניהם טרם יכרת ואף יהוה חרה בעם ויך יהוה בעם מכה רבה מאד**

فدعي اسم ذلك الموضع قبروت هتّأوة لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا. **ויקרא את שם המקום ההוא קברות התאוה כי שם קברו את העם המתאוים**

ومن قبروت هتّأوة ارتحل الشعب إلى حضيروت فكانوا في حضيروت מקברות התאוה נסעו העם חצרות ויהיו בחצרות

سأتوقف هنا أمام هذا النموذج الدراسي للمواضع ولبيئة النص التوراتي، بهدف تعميق التصور البديل الذي أطرحه لسفر الخروج. من المؤكد أن خط رحلة الحج هنا يشير إلى جماعة دينية تتجه من مكان إلى آخر. وفي سياق هذه الرحلة نشبت في صفوفها خلافات ووقعت في أخطاء أغضبت الرّب؛ فما إن فرغت الجماعة البشرية المهاجرة من أداء مناسك الحج طوال شهر كامل، حتى وقع حادث عرضي أدّى إلى تعطل أسفارهم، وهو حادث ناجم عن الصراع بين **موسى ومريم**، فقد مرضت **مريم** بعد أن غضب الرّب عليها. كانت مريم تُعيب على **موسى النبيّ**، أنه تزوج **امرأة وثنية كوشية (من الكوشيين)**، وهذا ما أثار البغضاء بينهما، فغضب الرّب ومرضت مريم. لكن موسى شعر بالحزن، ولذا خاطب ربّه متوسلاً:

الإصحاح الثَّانِي عَشَرَ: ٣:١

فصرخ موسى إلى الرب قائلا اللهم اشفها. ויצעק משה אל יהוה לאמר אל נא רפא נא לה

فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت تخجل؟ سبعة أيام تحجز، سبعة أيام خارج المحنة وبعد ذلك ترجع. **ויאמר יהוה אל משה ואביה ירק ירק בפניה הלא תכלם שבעת ימים תסגר שבעת ימים מחוץ למחנה ואחר תאסף**

فحجزت مريم خارج جبل المحنة سبعة أيام ولم يرتحل الشعب حتى شفيت مريم. **ותסגר מרים מחוץ למחנה שבעת ימים והעם לא נסע עד האסף מרים**

وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضروت ونزلوا في برية فاران **ואחר נסעו העם מחצרות ויחנו במדבר פארן**

بحسب هذا التوصيف، فقد كان لدى الجماعة المهاجرة الوقت الكافي لتنفيذ أمر الرّب بحجز امرأة أخطأت بحقه لأسبوع كامل، وكان لديهم ما يكفي من الوقت لبناء خيمة الاجتماع وتزيينها، وتقديم الذبيحة المقدّسة. وأكثر من ذلك، أن النبيّ المخلّص تزوج امرأة وثنية والغريب في هذا النص أن مريم حين غضبت واعترضت على الزواج، وراحت تطلب من الكهنة اللاويين أن يمنعوا إتمامه، رأينا الرّب يغضب غضباً شديداً ويعاقب مريم بالسجن خارج جبل المحنة؟ فهل من المنطقي تخيّل أن الرّب يسخط على المؤمنين به ويعاقبهم لأنهم يرفضون الزواج بامرأة وثنية؟ هذا الحادث يدلّل دلالة قاطعة على أن الرواية الخاصة بسفر الخروج ليست تاريخية، وأنها شأنها شأن المرويات المثيولوجية، ترسم إطاراً تشريعياً جديداً للزواج، يبيح زواج المؤمنين بغير المؤمنات، وهذه واقعة مثيولوجية دخلت في نسيج النص الدينيّ بهدف تبيان أشكال تطور العقيدة الموسوية القديمة، فهي في

إحدى مراحل تطورها، أجازت الزواج دون قيود (دينية). وبكل تأكيد، ليس ثمة أي مشهد في سفر الخروج، يشير إلى وجود خوف من هجوم الفرعون، بينما يتزوج النبيّ ويدخل في صراع مع (أخته في القبيلة) وكنا قد أشرنا إلى أن النسب الذي يجمع موسى ومريم هو نسب القبيلة - المكان (عمران)، فهما معاً ينتميان إلى القبيلة - المكان وليس إلى أب واحد.

(ويمكننا أن نجد اسم المكان الذي جاءت منه المرأة الكوشية الوثنية - التي تزوجها موسى- في هذا الفضاء الجغرافي للحجّ. تقع كوش - والنسبة كوشية - في محافظة ذمار، مديرية وصاب العالي، عزلة الظاهر، قرية السافلة، محلة كوش). وهذه إشارة رمزية للصراعات التي خاضها بنو إسرائيل - في هذا العصر- ضد الجماعات الوثنية في الشمال، لكنها في الآن ذاته تتضمن دلالات تصالحية من خلال إجازة الزواج من امرأة وثنية. في هذا العصر كانت القبائل السبأية - ومن ضمنها بنو إسرائيل - بحاجة إلى حشد قواها لمواجهة المصريين في الجوف، وانتزاع أراضيهم.

كما لا يوجد أي مشهد لمعركة عسكرية عنيفة بين الطرفين، ما دام هناك اعتقاد بأنهم كانوا يهربون من **الفرعون** وعلى الضّد من ذلك، نرى أن الموكب يتحرك من مكان إلى آخر بحثاً عن الإله الموعود، وهم ينظفون أسنانهم من لحوم الذبيحة المقدّسة. وفي النصّ الآنف، نلاحظ أن موكب الحجاج انتقل من **قبروت هتأوة** إلى **حضروت، ومنها إلى برية فاران** حيث نزلوا هناك للاستراحة. تقع **حضروت** التي تدعى اليوم (**حضرات**) في العزلة ذاتها عزلة (الشعوبة) الجبلية ضمن المديرية ذاتها (مديرية المعافر) في تعز، وهي تتبع قرية تدعى (ذي هبيل - هابيل) وهذا يعني أنهم شقوا

طريقهم داخل **إقليم المعافر متجهين صوب تخوم لحج، وليس داخل سيناء المصرية، إذ لا وجود لمثل هذه المواضع هناك**. ولنلاحظ **أن** اسم المحافظة اليمنية الجنوبية اليوم، يحمل كل العناصر الفونيطيقية من كلمة **(الحجّ). إن كلمة لحج هي النطق اليمني ذاته لكلمة الحجّ، كما في لهجات شمال إفريقيا (لخضر: الأخضر) وحتى اليوم يوجد في محافظة لحج ضمن مديرية القبيطه وعزلة اليوسفين، وفي قرية الوبيرة تحديداً، محلة تدعى (محلة عقمة مريم)** وسوف نتحدث تالياً، وبالتفصيل عن خط الهجرة الدينية موضعاً موضعاً.

إن بنية نص **سفر الخروج**، تنطوي على تركيب فريد لا يخلو من التعقيد، وثمة طبقات من الخطاب الديني، تتداخل وتتشابك فيه السطوح التشريعية والميثولوجية، فهو ليس نصّاً منفرداً عن طقوس الحجّ والهجرة الدينية والبحث عن الإله وحسب، بل هو أيضاً نصّ مكرّس لبناء تصور الجماعة لأرض استقرارها. وهذا يعني أنها في طورها الأول في عصر موسى، سعت إلى الانتقال من البداوة إلى الاستقرار. ولذلك، يتعيّن النظر إلى فكرة **(أرض الميعاد)** في هذا الإطار، أي أن ينظر إليه من منظور غير دينيّ، لأن الأصل في الهجرة كان الحلم بأرض استقرار، ثم جاء أمر الرّب للقاء بالجماعة الحالمة. وبهذا يكون البحث عن أرض استقرار مرتبطاً بعبادة الرّب في أرض معلومة وهذا ما نلاحظه من النصوص التالية:

لقد واصلت الجماعة طقوس الرحيل بحثاً عن لحظة اللقاء بالرّب، وبحثاً عن مواضع استقرار (ما يدعى أرض الميعاد). وهاكم النص: سفر العدد، الإِصحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ: ١ : ٣ (١ : Numbers ١٣)

ثم كلم الرب موسى قائلاً וידבר יהוה אל משה לאמר:

أرسل رجالاً ليتجسّسوا ارض كنعان التي انا معطيها لبني إسرائيل. رجلاً ااحداً لكل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. שלח לך אנ־שים ויתרו את ארץ כנען אשר אני נתן לבני ישראל איש אחד איש אחד למטה אבתיו תשלחו כל נשיא בהם

يتّضح من سائر هذه النصوص، أن استطلاع **أرض كنعان** جرى بعد أن شق الموكب طريقه خارج إقليم **المعافر باتجاه لحج والضالع والبيضاء**، وهذه الأراضي هي اليوم ثلاث محافظات جنوبية، كانت فعلياً شبه خاضعة لسلطة **المعينيين** مع أنها بعيدة وطرفية على تخوم المملكة. وسأعيد التأكيد مرة أخرى منعاً لأي سوء فهم: إن **أرض كنعان** حسب التوراة جزء من **أرض مصريم**، أي جزء من الأرض التي سيطرت عليها **مملكة معين الجوف** (معين مصرن)، وكانت براقش عاصمتها السياسية. والوعد الإلهي لموسى بأن يعطيه **أرض كنعان** ويقهر المصريين، هو تعبير ديني - رمزي عن **حلم السبئيين في عصر المكاربة** بأن يستردوا أراضيهم من قبائل الجوف. ولذلك، يبدو استطلاع الأرض الذي أمر به موسى أتباعه، تجسيداً لحلم من **أحلام السبئيين** بأن يأخذوا بالقوة واستناداً إلى الوعد الديني، كل الأرض التي سيطرت عليها قبائل الجوف اليمني. ولذلك، يبدو أنّ استطلاع **أرض كنعان** الذي تمّ بأمر الرّب، كان هو التصور النهائي الذي تبلور في وعي الجماعة لنفسها، فهي لم تعد تنشد اللقاء بالرّب بعد أن اكتشفته، ويتعيّن عليها الآن أن تجد مكاناً خاصاً بها لاستقرارها ولعبادته. وفي حقبة ما بعد اللقاء بالرّب، وبعد أن تحقق للجماعة ما كانت تحلم به قبل هجرتها،

سوف تبدو قصة (**أرض الميعاد**) خالية من أي بُعد دينيّ. إنه بحث نمطي، وتقليدي لكل جماعة مهاجرة (بدوية) تعرّفت على إلهها، ويجب عليها أن تعبده في أرض خاصة بها، بعيداً عن مملكة **معين مصر** التي يحكمها **الكنعانيون** (المعينيون) الوثنيون.

لقد أضفت نصوص التوراة على الهجرة كل ما يلزم من أبعاد دينية، مع أن الأصل في كل هجرة لأي جماعة بدوية هو امتلاك أرض استقرار. ربما لهذا السبب لم تحصل الجماعة على الأرض الموعودة في عصر موسى، وإنْ استطلعت المكان وتعرّفت إليه، وكان عليها أن تنتظر طويلاً قبل أن تنزل فيها. ولأن سفر الخروج تصوير لهجرة بدوافع متداخلة يختلط فيها حلم الأرض الموعودة بحلم اللقاء بإله الجماعة الخاص، فقد بدت نتاج صراع ديني مع (**مصريم**) الذين لم يكونوا يعبدون **يهوه** ولم يعرفوه أصلاً، وكانوا بدلاً من ذلك يعبدون **الإله ود** كما رأينا. بهذا المعنى فقط، ستكون أسفار بني إسرائيل في عصر موسى، مزيجاً من طقوس وشعائر الحجّ وفي الآن ذاته مزيجاً من الحلم والبحث عن مكان استقرار.

كان **المصريون المعينيّون (الكنعانيون)** تجاراً متمدّنين يعبدون الإله **ود إله القمر**، وكانوا يستعملون لغة دينية خاصة تسميها التوراة لسان - شفة: **شفة كنعان**، وهم عرفوا نسبة إلى لهجتهم هذه. أي إن **مصطلح (كنعانيين) لا يقصد به عرقاً بعينه**؛ بل قصد به القبائل التي تستخدم هذه اللغة في طقوسها الدينية، بما في ذلك كتابة النصوص. وهذا أمر شبيه باصطلاح (المسلمين)، فهو لا ينصرف إلى (عرق) بعينه، بل يقصد به جماعات بشرية من أعراق مختلفة تستخدم لغة دينية واحدة هي لغة النص القرآني.

وبالفعل، فقد كان سكان معين **مصرن**، خليطاً من قبائل كثيرة لديها لغتها الدينية الخاصة التي تكتب بها نصوصها الدينية في معابد الإله ود، بينما كانت **الجماعة الموسوية في بني إسرائيل، جماعة رعوية تتعبّد للإله يهوه،** الغضوب والبركاني. إن يهوه، إلهها الخاص مشتق من اسم الإشارة للذات الإلهية **(هو)** بإسقاط الياء اليمنية اللاصقة مثل يعرم في عرم، يكرب في كرب. وهذه الجماعة التي تتعبّد لإله متسامٍ غير قابل للتجسّد، هجرت موطنها القديم **مصر- مصرن**، حيث عاشت هناك برخاء، وذلك ما تدلل عليه نصوص السفر التي يتحدث فيها بنو إسرائيل عن عيشهم الرغيد في مصريم برغم عبوديتهم.

لقد ارتحلت بين الجبال والوديان، تقاسي صنوف الجوع والعذاب في رحلة حج دينية شاقة، كان الهدف منها تقديس أرض بعينها والاستقرار فيها. وهذا ما يمكن رؤيته في نص الإصحاح الرَّابع عَشَرَ: ١٤:١٦

فقال موسى للرب، سوف يسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم **ויאמר משה אל יהוה ושמעו מצרים כי העלית בכחך את העם הזה מקרבו**

ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا انك يا رب في وسط هذا الشعب، والذين أنت يا رب قد ظهرت لهم عينا لعين، وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا. **ואמרו אל יושב הארץ הזאת שמעו כי אתה יהוה בקרב העם הזה אשר עין בעין נראה אתה יהוה וענך עמד עלהם ובעמד ענן אתה הלך לפניהם יומם ובעמוד אש לילה**

فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد، سيقول الأغيار الذين يسمعون اسمك قائلين **והמתה את העםהזהכאישאחדואמרוהגויםאשר שמעואתשמעךלאמר:**

لان الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم، فقد قتلهم في القفر. **מבלתי יכלת יהוה להביא את העם הזה אל הארץ אשר נשבע להם וישחטם במדבר**

إن تحليل هذه النصوص يكشف عن التلازم بين تطلع الجماعة البدوية لأرض استقرارها، وبين بحثها عن إلهها. وهذه هي كل العناصر اللازمة لهجرة دينية (**الحج**). وكما يُلاحظ، فهي لا تقدّم ما يفيد أنهم كانوا تائهين في صحراء، أو أنهم كانوا مطاردين من الفرعون (إذ ليس ثمة أي مشاهد لقتال مع الجيش المصري).

هاتان هما، بتكثيف شديد، الملاحظتان المركزيتان اللتان تشكلان لبّ نظريتي عن الخروج. لقد تجنبت الاستغراق في مزيد من التفاصيل في هذا الجزء من الفصل، بهدف مساعدة القرّاء على فهم نظرية الكتاب واستيعابها.

وفي الفصول التالية سوف أقدّم تفاصيل موسعة عن هذه الهجرة.

الهوامش:

(١) في سورة (البقرة) : (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) بقرة مذللة بينة الذل (بكسر الذال). ورجل ذليل بين الذل (بضم الذال). أي: هي بقرة صعبة. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [ص: ٤٢٢].

(٢) السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك: ج١ص٧.

(٣) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا (سورة البقرة).

الفصل الثالث

سفر الخروج وجغرافية اليمن

إن نظرية هذا الكتاب التي تقوم على اعتبار جغرافية **اليمن القديم**، وعلى وجه التحديد جغرافية إقليم **المعافر القديم** الذي كان يضمّ **أب وتعز، بواديه الخصبين، وادي رعين ووادي السحول**، وبممالكه الكبيرة والصغيرة، هو المسرح الحقيقي لأحداث التوراة، تطرح في المقابل فكرة أن ما يسمّى الخروج الإسرائيلي الذي جرى تضخيمه في المخيال الاستشراقي التوراتي وفي المؤلفات التاريخية التقليدية كذلك - وبالطبع في المرويات والقصص الدينية - هو **حدث ديني** صغير وليس حدثاً تاريخياً، وقد وقع في مسرح جغرافي محدود لا علاقة له **بمصر** البلد العربي. وبشكل أدقّ، فهذا الحدث الدينيّ في الأصل، أي اللاتاريخيّ، اكتسب قيمته (التاريخية) والروحية، فقط بفضل التوراة التي سجلته، بينما تجاهلته السجلات التاريخية المصرية أو اليمنية، كما أهملته سجلات الدولتين القديمتين في

حوض النيل وبلاد ما بين النهرين. وهذا أمر يؤكد حقيقة أنه لم يكن حدثاً (تاريخياً) صافياً، وأن شطراً مهماً من رواية الخروج، كُتب بالطرائق السردية التقليدية للكهنة والقصاصين والرواة. وهؤلاء - على غرار ما سوف يفعل الإخباريون المسلمون مع انتصار الإسلام وقيام دولته في مكة حين بالغوا وأسْطروا الكثير من الأحداث والوقائع - قاموا بشكل منتظم بتضخيم الأحداث وبتصعيد القيمة الدينية لخروج **بني إسرائيل** إلى **مصاف الحدث التاريخي**، بحيثُ خيّل لأجيال وأجيال من البشر على مرّ الزمن، أنه حدث ضخم وحقيقي بكل تفاصيله، بينما نعلم أن السجلات التاريخية تنفي وقوعه وهي تجاهلته تماماً، وصمتت عنه لأنها لا تعرف أي شيء عنه. وذلك ما يؤكد محدودية قيمته التاريخية، كما يعني ببساطة أنه لم يقع في جغرافية **مصر** الواسعة.

وفي هذا الإطار، سوف نطرح إمكانية حل **لغز سفر الخروج** من خلال البحث في نطاق جغرافية محدّدة، تغطي مساحة صغيرة من اليمن، هي جغرافية **إقليم المعافر** الممتدّ من **إب إلى تعز** في الجنوب الغربي، وصولاً إلى **لحج**، فهنا وليس في أي مكان آخر دارت أسطورة هروب بني إسرائيل من الفرعون.

أي إن طقوس الحجّ وشعائره التي قادها موسى لا تتخطى نطاق ما يدعى اليوم **إب، تعز.لحج، الضالع، وأجزاء من محافظة البيضاء**، وهذا هو برأينا المسرح الذي دار فيه الحدث. ولأجل البرهنة على ذلك، سوف نتتبع خط الرحلة التي قادت **موسى** إلى اللقاء **بالفرعون** ثم فرار الشعب من **مصر اليمن**، حتى استقراره في (أرض ميعاده).

-١-

إسراء موسى: بداية الهجرة الدينية

كانت الهجرة الدينية **لملاقاة يهوه** في البرية وتقديسه واتخاذه إلهاً خاصاً، مجرد فكرة تشاور حولها **موسى** مع كاهن **مدينة مدان מדין**. وبعد اللقاء توجه **موسى** من **مدان** إلى **مصريم ليفاوض الفرعون**. وهذا ما يقوله السفر حرفياً:

النص العبري: خر/ ٤

فمضى **موسى** وعاد إلى **يثرون** حميه، قائلاً له أنا أذهب وسأعود إلى أخوتي الذين في مصريم، لأرى هل هم بعد أحياء. فقال **يثرون لموسى** اذهبْ بسلام **וילך משה וישב אל יתר חתנו ויאמר לו אלכה נא ואשובה אל אחי אשר במצרים ואראה העודם חיים ויאמר יתרו למשה לך לשלום**

وقال الرب **لموسى** في **مدان** عُد إلى **مصريم**، فقد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك. **ויאמר יהוה אל משה במדין לך שב מצרים כי מתו כל האנשים המבקשים את נפשך**

وهذا يعني بوضوح أن **موسى** كان هارباً من **(مصر الأخرى) التي يسميها النص العبري** مصريم **מצרים وليس مصر מצר**، وأن دمه كان مطلوباً بسبب واقعة بعينها - تشير إليها نصوص التوراة - وتتمثل في قتله من طريق الخطأ **لرجل مصري** أثناء شجار وقع هناك، وأنه لم يتمكن من العودة

إليها إلا بعد أن تأكد من موت طالبي دمه. بيد أن عودته ترتبط هذه المرة، بأمر إلهي باركه الكاهن، ويتمثل في تنظيم هجرة جماعية لبني إسرائيل.

فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير **ورجع إلى أرض مصريم**. أأخذ موسى عصا الله في يده **ויקח משה את אשתו ואת בניו וירכבם על החמר וישב ארצה מצרים ויקח משה את מטה האלהים בידו**

هذا الجزء الحيوي من النص التوراتي، يشكل نقطة انطلاق مثالية لفهم النص وحل **لغز مصر**. فقد ذهب **موسى** للقاء حميه في مكان يدعى **مدان، وعرض عليه فكرة أن يسمح له بتنظيم حجّ سنوي لبني إسرائيل، ويقودهم في هجرة دينية كبرى، ليحجّوا ويقدّسوا الأماكن التي سوف يتجلّى فيها الرّب يهوه لشعبه الذي اختاره**. ومن المؤكد أن التقاليد الدينية القبلية ذات الطبيعة الديموقراطية في مملكة **معين مصرن**، وهي تقاليد كانت تسمح بوجود إله مركزي (**هو الإله ودّ**) وآلهة صغار آخرين، أضفت على هذا اللقاء مسحة دينية خاصة، فقد كان التفاوض يقوم على إمكانية **السماح للبدو الرعاة بلقاء إلههم الخاص**. وهذا هو المضمون الحقيقي لسماح **فرعون مصرن** بخروج **شعب كبير من البدو**، مع مواشيه وأحماله وحاجياته في هجرة دينية كبرى لقد سمح لرعاياه من البدو أن يكون لهم إلههم الخاص بهم، ما داموا يمثلون (نوعاً من نجاسة) في نظر المصريين المتمدّنين والتجار. وحين عاد **موسى** من رحلته، أوصى حماه حين تناهت إليه الأنباء، بأن يذهب **هارون بنفسه للقاء موسى** في جبل **حريب، حيث** كان يتعبّد هناك، أي في **غار حريب**. وذلك ما تلمّح إليه هذه الآية:

وأما **موسى** فكان يرعى غنم يثرون حميه **كاهن مدان**. فساق الغنم إلى ما وراء البرية وجاء إلى جبل الله **حريب**. **ומשה היה רעה את צאן יתרו חתנו כהן מדין וינהג את הצאן אחר המדבר ויבא אל הר האלהים חרבה**

ومدين **מדין** هذه تقع في **محافظة لحج** ضمن بريّة حقيقية، وعرة وصعبة حيث الجبال الشاهقة بصخورها الجرانتية السوداء. وقد تسنّى لي عام ١٩٧٩ أن أتجول فيها وأن أراها عن قرب حيث توغلت في أراضيها التي هي مزيج من الرمال والصخور، وهي اليوم مديرية تعرف باسم **مديرية حالمين**. وهذا الاسم يرد في التوراة بالصيغة ذاتها: حالمين. وفي هذا الفضاء الجغرافي توجد عزلة جبلية تدعى عزلة حبيل الريدة فيها قرية تعرف باسم قرية دار (**المدان**). لقد ذهب موسى من **لحج** قاصداً **مصرن – مصريم** ومركزها السياسي منطقة الجوف، ليطلب من **الفرعون** أن يفرج عن **بني إسرائيل** كما أمر الله. لقد كان هو نفسه هارباً – فاراً من **مصريم** بعد حادث قتل، طُلب فيه دمه لوقت طويل. وهاكم اسم المكان الذي كان موسى يتعبّد فيه ويرعى الغنم:

يقع جبل **حريب** في **محافظة لحج** ضمن **مديرية يافع** المجاورة والملاصقة **لمديرية حالمين**، ضمن عزلة جبلية تدعى لبعوس، حيث نرى هناك قرية لا تزال تحمل الاسم نفسه: **حريب**. وما يدهشنا حقاً، أن التوراة ترسم كلمة **فرعون** في صورة فرعه **פרעה**. وهذا الرسم مطابق لما ورد في النقوش اليمنية لملوك معين مصرن، فهم يدعون: **فرعه**، **والوزن العبري – العربي القديم فرعون. وأودّ تنبيه القرّاء إلى أن السجلات التاريخية المصرية لا تعرف كلمة فرعون أبداً، وهي تطلق لقب (ملك)** على حكام الأسر

المتعاقبة. وهذا الاسم (فرعون) استخدم في الذاكرة الشعبية للدلالة على الملك، وهذا أمر شبيه ومماثل لما درج عليه الناس حين يروون قصة يوسف، حين يسمون المرأة التي أغوته (زليخا)، وهو اسم لا وجود له في التوراة أو القرآن، بل كان اسماً شعبياً اختلقه المخيال الشعبي. بهذا المعنى، إن اسم (فرعون) لا وجود له في السجلات التاريخية المصرية، بينما نجده في النقوش اليمنية دالّاً على سلالة من الملوك، وبالمصطلح القرآني (آل فرعون). وحتى اليوم يمكننا أن نجد في جغرافية اليمن ما يدلّنا على صيغة عربية - وزن عربي من الاسم فرعون، وهو كما قلنا بناء عبري مثل: فرعه - فرعون، صور - صورون، حور - حورون. وهذه الصيغة هي فرعان - فرعن. هاكم اسم المكان الذي تركه لنا فراعنة اليمن القدماء، وهم أمراء الجيوش: **محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قصع حليان، قرية فرعان.**



الجوف، مأرب، ذمار، أب، تعز، الحديدة

ونقرأ في النقش المعروف باسم: (ارياني ١٩) ما يأتي (باللسان اليمني القديم – الحميري)[١]:

ألشرح يحضب/ وأخيهو يأزل/ بين/ ملكى سبأ وذريدن/ بني فرع/ م/ ينهب ملك سبأ

والنقش – نهاية السطر – يتحدث عن **آل فرعه (بني فرع/ م – والميم الحميرية أداة تعريف قديمة: الفرعه والوزن العبري الفرعون)** بوصفهم أمراء في ممالك أخضعها بعض **ملوك سبأ.**

وفي نقوش **جامه** (جام ٦٤٩) نقرأ النص الآتي[٢] الذي يرد فيه اسم **حريب** الجبل والوادي، سوية مع اسم **فرعون** (فرعه)

ب/ ذ/ ت/ ه/ و/ ف/ ي/ ه/ م/ و/ ب/ م/ ل/ أ/ ه/ و/ ب/ ك/ ل/ س/ ب/ أ/ ت/ س/ ب/ أ/ و/ و/ ش/ و/ ع/ ن/ م/ ر/ أ/ ه/ م/ و/ شمر/ ي/ هـ/ ر/ ع/ ش/ م/ ل/ ك/ س/ ب/ أ/ و/ ذ/ ر/ ي/ د/ ن/ ع/ د/ ى/ س/ ه/ رة/ –ن– ن/ ل/ ي/ ة/ و/ خ/ ي/ و/ ن/ و/ ض/ د/ خ/ ن/ و/ ت/ ن/ ع/ م / و/ ن/ ب/ ع/ ة/ و/ هـ/ ر/ ج/ ب/ ذ/ ت/ س/ ب/ أ/ ة–

(ن– خ/ م/ س/ ة/ أ/ س/ د/ –م– ب/ ض/ ع/ –م– و/ أ/ ح/ د/ أ/ خ/ ذ/ –م–م/ هـ/ ر/ ج/ ة/ ص/ د/ ق/ –م–و/ ذ/ **ف/ ر/ ع**/ –م– (**فرعه)**

ب/ ق/ د/ م/ ج/ ي/ ش/ و/ ح/ م/ د/ م/ ب/ س/ ب/ أ/ ة/ و/ ز/ أ/ و/ س/ ب/ أ/ و/ و/ ش/ و/ ع/ ن/ م/ ر/ أه/ م/ و/ ش/ م/ ر/ ي/ ه/ ر/

ع/ ش/ م/ ل/ ك/ س/ ب/ أ/ و/ ذ/ ري/ د/ ن/ ع/ د/ ى/ س/ ر/ -ن-/ ذ/ ض/ م/ د/ -م- و/ ح/ م/ د/ -م- س/ ب/ أ/ و/ و/ ش/ و/ ع/ ن/ م/ ر/ أ/ ه/ م/ و/ ش/ م/ ر/ ي/ ه/ ر/ ع/ ش/ م/ ل/ ك/ س/ ب/ أ/ و/ ذ/ ر/ ي/ د/ ن/ س/ ر/ -ن/ ح/ ر/ ب/ (**حريب**) ع/ د/ ى/ ق/ ر/ ي/ ت/ ن

وهنا ترجمة النقش:

(بمدد عونه، سبوا وناصروا أميرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان، فساروا نحو **السهرة وخيوان وضدحان وتناغم ونبعة**، فقتلوا في هذه الغزوة خمسة من شجعانهم قتلاً بالسيف، وأخذوا أسيراً واحداً وجندلوا صدق **وذي فرع مقدم الجيش**.

وفي هذه الحملة غزوا وساروا – مع – أميرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وساروا نحو السر وذي ضمد، وغزوا وساروا – مع – أميرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان – من – السر **ووادي حريب** نحو القريتين).

ونفهم من هذا النقش وسائر النقوش اليمنية الأخرى، أن **فرعه – فرعون** (في البناء العبري للأسماء) لقب يطلق على أمراء في الجيش ولم يكونوا ملوكاً، أي أنهم قادة فرسان وأمراء حرب في **مخاليف اليمن**. **وهذا يعني أن اللقب ظل مستمراً لوقت طويل في الراسب الثقافي التاريخي لليمنيين، وأنهم اعتادوا أن يطلقوه على الزعيم أو الملك**. كما نفهم من نصّ التوراة أنّ **موسى** غادر **مدان** في **لحج** إلى (**مصريم** القديمة). وبعد الرحلة الاستكشافية التي قام بها، حصل **موسى** على موافقة **فرعه – فرعون مصر اليمن** على إطلاق حرية شعبه في تنظيم هجرة دينية جماعية.

ولذا تقول التوراة ما يأتي: (وَقَالَ الرَّبُّ **لِهَارُونَ**: «**اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى**». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ **فِي جَبَلِ اللهيم** وَقَبَّلَهُ).

وبالطبع، لا يوجد في **مصر أو سيناء** طولاً وعرضاً، لا في التاريخ القديم ولا الحديث، جبل يدعى **جبل اللُهيم – ءلوهيم، أي جبل الرّب** (اللهمّ: النطق العربي القرآني الصحيح). ولكننا نجده في المكان نفسه ضمن العزلة الجبلية نفسها. يقع **الليم أو اللهيم** – بإضافة الهاء الحميرية للأسماء مثل يرعش – يهرعش – في **محافظة لحج**، وتحديداً في **مديرية يافع، وهي من مديريات لحج المشهورة** وضمن **عزلة لبعوس** ذاتها، حيث توجد قرية لا تزال تحمل الاسم القديم: **قرية اللمّ**. وفي هذه المديرية وضمن العزلة نفسها وجدنا **حربب**، كما رأينا من صفحات سابقة. إن حرف الهاء في صيغة **اللهيم** حرف صوتي استخدمته العبرية كما استخدمته العربية، ويجري إسقاطه في الكتابة، مثلاً، يكتب العربي كلمة **يريق الدم** أو الماء في صورة **يهريق الدم**، أهرق دمه، وهو يقصد **أراق دمه**، أو يهريق الماء بمعنى أراق الماء.

-٢-

ريام ومريم: التجسيد الذكوري للإلهة الأم

سأتوقف هنا لأشرح ظاهرة لطالما أثارت تساؤلات القرّاء والكتاب، تتعلق بتكرار أسماء مواضع بعينها تبدو متشابهة في كل الوطن العربي، وبكيفية انتقال الأسماء نفسها من مكان إلى آخر مع بعض التغيّرات الفونيطيقيّة أحياناً، التي تظهر من خلال أشكال رسم الكلمة في النص العبري. إن اسم **حريب لحج** مثلاً، يظهر في مأرب، وهناك مديرية تحمل اسم الوادي (**مديرية حريب**) ويدعى اليوم (**وادي حريب القراميش**). والأمر ذاته مع اسم **حرد**، **حردة**، **حرود**، وهي أسماء تتكرر في سفر الخروج وأسفار التوراة الأخرى، مثلاً: **عزلة حرد ضمن مديرية إب** في محافظة، وكذلك في محافظة **لحج** ضمن مديرية المفلحي حيث توجد قرية **بيت حرد**... إلخ.

هذا المثال غرضه إيضاح الحقيقة الآتية: إن الأماكن والمواضع القديمة التي قدّسها موسى في إسرائه (هجرته الدينيّة) انتقلت إلى مناطق كثيرة في اليمن مع انتشار الشريعة الموسوية. وفي وقت ما من هجرة القبائل اليمنية إلى العراق والشام ومصر، انتقلت كثرة من هذه الأسماء، ومنها اسم موسى وشرعته الدينية، فنجد حتى اليوم جماعات تتسمّى بالموسويّة (لقب الموسوي). لذا، نجدها تتكرر في مناطق عدّة من الوطن العربي، ولكن دون أن تلفت انتباه أحد. هذا المثال - أخيراً- ينطبق على اسم الجبل المقدّس: **اللهيم** - **ءلوهيم**، **الليم** حيث التقى **موسى وهارون**.

ويبدو أن الاسم انتقل في وقت ما من **لحج** إلى شمال **غرب صنعاء** بنحو ١٤ كيلومتراً. واليوم، يمكننا أن نجده هناك في نطقه الحميري القديم: **جبل اللُهيم،** (أو الحيم أو الهيم)(٣). يقع هذا **الجبل في وادي ضهر** – شمال غرب العاصمة **صنعاء** – ويتميز بوجود مخربشات ورسوم لحيوان الوعل. إن انتقال الأسماء التوراتية في سائر محافظات اليمن أمر لافت للانتباه؛ إذ لا توجد أي جغرافية مشابهة يمكن أن تتكرر فيها الأسماء ذاتها وفي مخربشات **جبل اللهيم – الليّم** هذا، يمكننا أن نعثر على الرموز الدينية القديمة مثل الوعل بوصفه رمزاً للإله المقه – المكه. وهذا وحده، ما يفسّر لنا لماذا يروي المؤرخون القدماء أسطورة غزال الكعبة الذهبي الذي علقه عبد المطلب على جدار الكعبة(٤). يبدو الوعل في هذه المخربشات الصخرية في وضعيات مختلفة، منها وهو يقف على قدميه بشموخ، أو راكعاً على قدميه، أو متحفزاً للقتال. كذلك توجد إلى جواره صورة لشكل آدمي دون رأس. وإلى الشمال من جبل اللهيم – ءلوهيم في غرب صنعاء، جبل آخر يعرف باسم **جبل المحن، وهو غير جبل المحن في لحج**. واسم هذا الحبل كما سنرى، يتردد كثيراً في نص سفر الخروج، وبشكل أخص أثناء الشعائر والطقوس الدينية التي نظمها موسى والكهنة من اللاويين، كذلك فإن الرب أمر بحبس مريم وعزلها خارج هذا الجبل دون سواه ولمدة سبعة أيام. والمدهش، أننا نستطيع اليوم أن نشاهد في هذه الجبال، وبشكل أخص في **جبل المحن** الذي يدعى عشر (عشتار) جرفاً منحوتاً في الصخر استخدم كمقبرة ويبلغ ارتفاعه ٤م، ويتكون من مدخل ارتفاعه ٢٣ , ٢م وبعرض مترين، وحجرة صغيرة إضافة إلى فجوة في الجدار في شكل محراب، ويوجد وسط الجرف حوض للماء، ربما استخدم أثناء الطقوس الجنائزية. إن وجود هذه المعالم الدينية

القديمة، يقدّم دعماً غير محدود لفرضية الخروج التي نقدمها، من شأنه أن يُخرج التماثل في أسماء المواضع عن نطاقه اللغوي الشكلي، فها هنا أماكن مقدّسة قديمة تحمل الأسماء نفسها. أما (**مقبروت هـ - أتوة**) وتعني مقبرة المثوى، أو الثوى، أي المدفونين، حيث جرى دفن الأشخاص الذين ماتوا أثناء أسفار الحج وبعد حادث النزاع بين **موسى ومريم**، فنجدها باسمها هذا في مديرية القبيطة وضمن عزلة القبيطه في صورة محلة تدعى (**محلة المقيبرات**). ها هنا **مقبيرات** (**مقبروت**) في المكان نفسه: محافظة لحج التي بلغها موكب الحجاج.

وهكذا، انتقل اسم المكان المقدس إلى جزء آخر من الجغرافية اليمنية، فنجده في صورة مدينة دينية تدعى (**أتوة**) **أي المثوى في جبل ريام**، وتدعى حتى اليوم بالاسم نفسه. (**ريام – ها – اتوة**) ضمن **مديرية همدان إحدى مديريات صنعاء**، وسط السلسلة الجبلية الغربية التي تبدأ من أقصى شمال اليمن إلى جنوبه. وهذه المديرية يحدّها من الشمال محافظتا الجوف وعمران، ومن الشرق محافظة مأرب، ومن الجنوب محافظة ذمار، ومن الغرب محافظتا المحويت والحديدة. والمدهش أن **مقبرة أتوة** (مقبروت ها – أتوة) هي اليوم **مقبرة أثرية**، عُثر فيها على **مدافن قديمة**. وفوق جبل ريام تقع المدينة الدينية والمقبرة التي تطلق عليها النقوش اسم (هـجرن/ أتوتم)، أي: هجرة الأتوة – الميم هنا هي الميم الحميرية التي تؤدي وظيفة أداة التعرف ألف ولام – أي المثوى. وفي بعض النقوش تأتي بعد اسم الإله (تألب) مباشرة مثل (تالب/ ريمم). وتعبير هجرن – لاحظ النون الكلاعية وكيف دخلت على الاسم هجر – هجرن مثل مصر، مصرن –تعني المدينة الآمنة، المسالمة التي جرى تحريم الاعتداء عليها. وهذا يؤكد أنها استكملت كل شروط المدينة الدينية، فعلى

قمة جبل ريام أقيم عدد من المعابد لهذا الإله، أهمها المعبد المسمى (**ترعت**). وبرأيي، إن اسم المدينة التوراتية **رعمسس – رعم – سس**، مأخوذ من اسم الإله القديم (**رع**)، وهو الإله الراعي – الحامي، والمعبد (ترعت) منسوبٌ إليه. ولاحظ كيف دخلت التاء الحميرية اللاصقة (رع – ترع – ترعت)، وهذه التاء تؤدي وظيفة أداة تعريف منقرضة في لهجات اليمن القديم (**الرع**). ونحن نعلم أن التاء والسين في هذه الأسماء هي حروف لاصقة تسقط عند النطق. وعلماء الآثار في اليمن يعرفون جيداً طقوس الحج القديمة هذه، كما يعلمون الكثير عن شعائر وطقوس التقرّب للإله (تألب) الذي يجسد الإله (القمر). لقد انتشرت عبادته في الجزء الشرقي من المرتفعات الشمالية لمدينة صنعاء حتى صعدة. يبقى أن نلاحظ أن في **اسم ريام** كل العناصر الفونيطيقية من **اسم مريم الإلهة الأم** (مريم بنت عمران)، وذلك بإضافة الميم الحميرية (م) إلى أول الاسم **ريام – مريام** مثل (ا **– ت – و – ت** – م) **اتوتم في اتوة**. وبهذا المعنى، يصبح **ريام** تجسيداً ذكورياً للأم **مريم** (م – ريام)، أي (ريام).

لكن، ما علاقة اسم **موسى بن عمران** باسم **عمران** اليمنية؟ ولماذا تسمّي **مريم نفسها مريم بنت عمران**؟ وهل هي ذاتها **مريم القرآن** (أمّ المسيح وأخت هارون)؟ أم هي شقيقة هارون؟ وإذا كانت شقيقته، فلماذا لا يقال إنها شقيقة موسى؟ وهل اسم هارون هذا له علاقة باسم الإله **هارون**؟ وما علاقة هذا الاسم باسم الإله **أرون** (هـ ـ رون والألف المهموزة بديل الهاء كأداة تعريف) والذي انتشرت معابده في اليمن؟ وهل هذا الإله هو نفسه هاران (هـ ـ ء – رن) شقيق النبي إبراهيم؟ مثل هذه الأسئلة لها أهمية خاصة في نطاق استيعاب البعد الديني للهجرة الجماعية. وسوف نقوم تالياً بتحليل النصوص ذات الصلة.

تقع **محافظة عمران** شمال العاصمة **صنعاء**، وتبعد عنها بمسافة (٥٠ كم) تقريباً، وتتصل بمحافظة **صعدة** من الشمال، وبمحافظة **صنعاء** من الجنوب، وبمحافظتي **حجة والمحويت** من الغرب، وبمحافظتي **الجوف وصنعاء** من الشرق. **وعمران** اليوم مدينة تبدو متباينة بعض الشيء بالنسبة إلى مبانيها القائمة، حيث تتكون من المدينة القديمة والمدينة الحديثة، وتوجد الأولى داخل الأسوار القديمة التي أُنشئت لأجل حمايتها. أما الأخرى، فهي خارج الأسوار، وتنتشر فيها العديد من **مباني اليهود**، ولكن معظمها اندثرت بسبب مغادرتهم لليمن، ولم يبق سوى القليل منهم هناك. وأخيراً كشف علماء الآثار النقاب عن معبد كان مكرساً لإله «قبيلة ذي مراثد» أو كما تطلق عليه النقوش (ب ن و/ م ر ث د م)، وهو الإله (**المقه**) - الإله الرسمي لدولة سبأ - ومعبده هذا كان أحد المعابد المنتشرة في أراضي **عمران**، أو بشكل أشمل، قاع **البون وصنعاء وشبام كوكبان** وغيرها من المناطق الواقعة إلى الشمال من صنعاء. كما تؤكد النقوش أن المعبد كان يحمل اسم (**هـ ر ن**): **هران**، ويتميز عن غيره من المعابد بالنسبة إلى طقوسه الدينية، بأن معظم المتعبّدين يطلبون من الإله «**المقه**» أن يمنحهم الأولاد الذكور. وفي **ذمار**، يمكننا أن نجد اليوم جبلاً آخر يحمل الاسم نفسه: **جبل هران** حيث ينشد الرعاة في سفوحه:

يا دار هران يا تحيف الأركان

ركنين فضة وركن مرجان

وركن من عهد النبي سُليمان

ويبدو من نصوص مختلفة، أن **الإله هارون – هرون** كان إلهاً مختصاً بالمواليد من الذكور، **وأن عبادته كانت منتشرة في مناطق مختلفة من اليمن. والأهم من كل هذا، أنه يتبادل والإله المقه (الإله مكة) الوظيفة ذاتها**. وهذا ما يعيد تذكيرنا بقصة **نذر عبد المطلب في مكة،** حين قرر ذبح ابنه عبد الله (والد محمد) من أجل أن يحيا أولاده الأحد عشر من الذكور، وهي قصة رمزية رويت قصد تعميق فهم وظيفة **الإله مكة** (الإله المقه) اليمني الأصل، بوصفه إلهاً واهباً للذكور، ولتكريس قداسة الرقم ١١. كما يمكننا أن نجد اسم هذا الإله في أماكن كثيرة من اليمن مثلاً: في **محافظة لحج وضمن مديرية تبن وفي** عزلة الحوطه سنجد قرية تدعى **هران ديان. ولنلاحظ الاسم اليمني: ديان وفي ذمار يمكننا أن نجد جبلاً يحمل الاسم نفسه: حصن هِرَّان في مغرب عنس. كما نجده في الضالع في مديرية جبن حيث يوجد جبل هرّان.**

ماذا يعني ذلك؟

يمكننا أن نستنتج من هذا العرض الفكرة الآتية: إن الأسماء الورادة في سفر الخروج لا تؤكد تاريخيتها، بمقدار ما تدعم فكرة أنها أسماء رمزية، فكما أن موسى – مشه هو تجسيد لشخصية الإله المخلص (أي المسيح الإسرائيلي الذي تسميه التوراة مسيح الرب كما في قصة مصرع شاول – سفر الملوك)، فإن هارون – هرون هو اسم الإله واهب الذكور، بينما الاسم مريم تجسيد للإلهة الأم الكبرى.

هذا هو إسراء موسى بقومه – حسب نصّ الآية القرآنية – وآيات التوراة. لقد انتقل بهم من دار عبوديتهم الوثنية في **مصريم** إلى أماكن مقدّسة جديدة تجلّى فيها إلههم.

وسنبدأ الآن بتفصيل أسفار الحجّ هذه، موضعاً موضعاً ونسير خلف خطى الحجّاج.

-٣-

الطرق التي سلكها المهاجرون من مصريم

التسلسل التالي لأسماء الأماكن التي رحل إليها **بنو إسرائيل** في رحلة الحجّ بقيادة **موسى** (حسب سفر **العدد** **وسفر الخروج**) يوضّح على أكمل وجه نوع وطبيعة المعضلة التي نطرحها للنقاش:

Numbers ٣٣ (سفر العدد)

هذه رحلات بني إسرائيل الذين خرجوا من **أرض مصريم** بجنودهم عن لمد موسى وهرون. **אלה מסעי בני ישראל אשר יצאו מארץ מצ־רים לצבאתם ביד משה ואהרן:**

وكتب موسى مخارجهم وأسفارهم حسب قول الرب. وهذه رحلاتهم بمخارجهم. **ויכתב משה את מוצאיהם למסעיהם על פי יהוה ואלה מסעיהם למוצאיהם:**

يدلّ تعبير (ل – مص – ع – ي – هـ – م: **למסעיהם لأسفارهم**) دلالة قاطعة على أن الخروج كان سلسلة أسفار، أي **هجرات دينية** قصد منها اللقاء بإله الجماعة التي اختارها بنفسه شعباً خاصاً به، وهي تريد اختياره إلهاً خاصاً بها عبر تنظيم خروج جماعي، له طابع طقوسي متميّز واستثنائي تعبيراً عن ترحيبها بهذه اللحظة التاريخية في حياتها. لقد ترجمت هذه الكلمة (**למסעיהם**) في الطبعة العربية من التوراة إلى (**رحلاتهم**) التي تسبق كلمة (مخارجهم). وهذا التعبير لا يبدو مفهوماً لنا، فماذا تعني رحلاتهم؟ وأي

رحلات هذه، بينما يقال لنا إن **بني إسرائيل** كانوا هاربين من وجه **الفرعون؟** في الواقع لا وجود في هذا النصّ لكلمة تدل على (رحلة - رحلات)، والصحيح كما نرتئي، أن الكلمة تنصرف إلى معنى دينيّ هو (مسعاهم - من كلمة السعي كما في تقاليد الحج الإسلامي).

لقد استخدم محرر النص حرف السامك **ס** الذي يجمع الصاد والسين والزاي، بدلاً من الحرف س **ש** لئلا يقرأ خطأً في صورة شين، والحرف في العبرية ينطق بطريقتين سين وشين. ماذا يعني ذلك؟ يعني أنه استخدم الحرف السامك س - ص - زاي لكي تكون دلالة الكلمة واضحة دينياً: مسعاهم - من السعي الديني بين مكانين كما في طقوس الحج الإسلامي - . ولم يقصد رحلاتهم، فهم لم يكونوا يقومون برحلات، بل خرجوا (سعوا) من مصريم بأمر الرّب للقائه. ومع ذلك يمكن التغاضي عن تعبير (أسفارهم) أي: وهذه مخارجهم وأسفارهم فقط لتسهيل فهم القرّاء للنصوص. إن هذا التعبير يدلّ دلالة قاطعة على أن (**الخروج**) هو سلسلة أسفار دينية متتالية، ومستمرة جرى توثيقها بالسنوات والأشهر، والأدقّ سلسلة من طقوس السعي.

ليست هذا **الأسفار** - ومنها جاءت **كلمة سفر في التوراة** بمعنى السورة الدينية - سوى **أيام الحج القديم الذي سنّ موسى سنّته.**

-٤-

البداية: من تعز صوب إب

يبدأ الخروج من موضع لا وجود له في أي بقعة في الأرض، باستثناء **مدينة تعز اليمنية**. كما أن سائر الأماكن التي بلغها الموكب موجودة في مساحة جغرافية محدّدة ضمن الإقليم نفسه: **إقليم المعافر**.

هنا التسلسل مع الشروحات:

١ : (فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ **رَعَمْ - سسَ** وَنَزَلُوا فِي **سُكُّوتَ**)

. ויסעו בני ישראל מרעמסס ויחנו בסכת

يتضمن اسم **رعم - سس** كل العناصر الفونيطيقية من الاسم **(رعمه)**. والجذر الثنائي **رع** استخدم كاسم للإله **اليمني - المصري** القديم بإضافة الميم الحميرية: **رعم**. وفي **سفر حزقيال** ترد صيغة أخرى من الاسم في صورة **(رعمه)** على النحو الآتي وبالتلازم مع اسم **سبأ**[٥]:

(وكل – شبء – ورعمه – ركليك – ب – رءش – كل – بشم – وب – كل – ءبن – يقره –وزهب – نتنو – عزبونيك – حرن – وكنه – وعدن – ركلي – شبء – ءشور

ومن **سبأ ورعمه** بكل عطر يملكون
وفي أوبن ينادون
يغدون ويروحون

نعطي بالمُقايضة فهلا تأخذون
وتجار حاران وكنة وعدن يقايضون
وتجارك من سبأ والشور)

ومعلوم أن الميم الأخيرة في الأسماء والأفعال في الحميرية هي أداة تعريف منقرضة، والأصل هو **رعا – رع – الرع**. إن الاختلاف في رسم الاسم له صلة بأشكال النطق في العبريّات اليمنية وأشكال رسمها للحروف، مثل **عبرية شرعب** (في تعز) وعبريّة صنعاء وعبريّات حضرموت. ففي **عبريّة شرعب** مثلاً، يؤنث الاسم بإضافة الهاء إلى آخره: **رعم – رعمه**. وفي عبريّة **صنعاء** تضاف الميم الحميرية إلى آخر الاسم: **رع – رعم**، بينما تدخل السين في الاسم في **عبريّات حضرموت**: **رعم – سس**. هذا المدخل اللغويّ ضروريّ للغاية لأجل فهم أدقّ وأعمق للنص العبري.

ويُفهم من جملة نقوش قديمة أن معابد الإله **رع – رعا – رعمه – رعم**، كانت منتشرة في اليمن القديم، لأننا نجده في مساحات جغرافية متباعدة. واليوم يمكننا أن نجده في **محافظة إب** وضمن **مديرية يريم** حيث عزلة بني عمر – وفي قرية الأعكاى – موضع يعرف باسم محلة ميدان **رعا**. **وفي** نفس المحافظة وضمن مديرية مذيخره وفي عزلة الأشعوب، سنجد اسم موضع يعيد تذكيرنا بقصة موسى، ولا يزال يحمل اسمه يدعى محلة **(وادي موسى)**. ويبدو من طريقة رسم الاسم **رعمسس**، أن محرر نص السفر كان من الكهنة **اليهود الحضرميّين** (يهود حضرموت) الذين يلحقون حرف السين اللاصق بآخر الأسماء، وهم غالباً ما يستبدلون الضم بتكرار الحرف (س+س): سس. (رعم – سس).

وفي كتب الأنساب اليمنية، سُمّي مخلاف **الراعي**[٦] **باسم راع** بن سيار بن معاوية بن سيف بن الحارث بن مرهبة بن بكيل.

ما يهمّنا من هذا النصّ، تأكيده أن رحلة **(الخروج)** تبدأ من مكان بعينه يسمى: **سكوت. وسكوت** هذه كانت نقطة انطلاق موكب الحجاج (أو المهاجرين). ويمكننا أن نجده في **محافظة تعز** بالصورة ذاتها كاسم لموضع بعينه في **مديرية ماويه** - عزلة حوامره (قرية الشجب - **محلة السكوت**). والاسم قديم للغاية، فهو اسم معبود يمني قديم ورد ذكره في النقوش اليمنية في صورة **(مسكوت)** سوية مع اسم معبود آخر يعرف باسم **ي - ث. وهذان هما اليوم معبدان قديمان أثريان ورد اسماهما في النقوش في صورة (ي ث / و م س ك ت)**، ويقعان في **مأرب** وبالقرب من معبد برأن، وذلك ما يؤكد حقيقة أن **عبادة سكوت** انتشرت في وقت ما من تاريخ اليمن في بقاع كثيرة سوية مع **الإله المقه**، وقد ورد ذكرهما في النقشين CIH.٩٥٤ CIH.٣١٤ في صيغة: (أ ل م ق هـ / **ب ع ل / م س ك ت / و** ي ث و / ب ر أ ن). **وسكوت** اليوم، **قرية من قرى مديرية ماوية، وهي من مديريات محافظة تعز على تخوم محافظة لحج**. كما ورد اسمها في التوراة كاسم لإله - معبود، وذلك في قصيدة **لعاموس** (أقوال في الأمم) على النحو الآتي[٧]:

(مليْكُكم **سكّوت** تتعبّدون
وصنمكم كيوان تدنونْ
وكوكبَ إلهكم كنتم تنحتونْ)

وفي نص سفر Judges ٨ (يهوديت) **ورد وصف لمعارك جرت داخل سكوت**[٨]**. وإلى هذا كله، يرد الاسم في سفر الأيام (דברי הימים ١٧:٤٢) مقترناً بحدوث معارك مع الوثنيين. وهنا النص:**

في شعاب اليردن سبكها الملك في أرض الخزف بين سكوت وصردة בככר הירדן יצקם המלך בעבי האדמה בין סכות ובין צרדתה

وكل ذلك يعني أن الحجاج انطلقوا من **مديرية ماوية في تعز واتجهوا صوب البريّة، تاركين مصريم خلفهم.**

كل ما أريدهُ من القرّاء في بداية استكشاف وتتبّع أسفار **بني إسرائيل** وخروجهم من **مصريم،** أن يركّزوا أنظارهم - وهم يتتبّعون خط الأسفار - على نقطة البداية، والتمعّن في فكرة أن **بداية مواسم الحج قد بدأت من هذا المكان، حيث قرية سكوت في مديرية ماوية التابعة لمحافظة تعز.**

٢: (ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيتَمَ الَّتِي فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ)

استناداً إلى هذه الآية من السفر، يكون الموكب قد سار في البريّة من **مديرية ماوية في تعز** (حيث قرية **سكوت**) صوب **مديرية التعزية** حيث عزلة الدعيسة وقرية **الحروف** ليدخل في **شعب تامه**(٩) في محافظة تعز - مديرية التعزية - عزلة الدعيسة - قرية الحروف محلة **شعب تامه.** إن صيغة الاسم في العبرية **(ايتم)** ينبغي أن تقرأ في **صورة (التم)** بما أن الألف العبرية هي أداة تعريف ناقصة (الف من غير لام).

أمّا تأنيث الاسم **التام ــ التامة،** فهي تقاليد صوتية يمنية، واليمنيون يقولون مثلاً في **وادي بيش - بيشة. (وكنا قد أشرنا إلى أن عبرية يهود شرعب السلام تؤنث الاسم المذكر في الكتابة: تام - تامة).**

٣: (ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إيتمَ وَرَجَعُوا علَى **فَمِ الْحِرُوثِ** الَّتِي قُبَالَةَ **بَعْلَ صَفُونَ** وَنَزَلُوا أَمَامَ **مَجْدَل**).

نفهم من هذا المقطع من الآية، أن موكب الحجاج انتقل إلى مكان محددّ يدعى **فم الحيرُث - الحروث**، قبالة مكان يدعى **بعل صفون**، ولكن لينزلوا في مكان يدعى **مجدل**. هاكم أولاً اسم **مجدل** التي وصلها الحجاج: تقع **مجدل في مديرية التعزية** المجاورة والملاصقة **لمديرية ماوية** التي انطلق منها الموكب: **محافظة تعز، مديرية التعزية**، عزلة حذران، قرية الأذمور، **محلة المجدلة (لاحظ تأنيث الاسم). أما صفون** فهي في المكان المقابل: محافظة تعز - **مديرية مقبنه** - عزلة بني حمير - قرية **صفونه (لاحظ التأنيث)**. ولأن **فم الحروث هي قبالة بعل صفون - صفونة**، فهذا يعني أنها في مكان مجاور. والنصّ لا يقول إنهم نزلوا فيها، بل يؤكد أنهم نزلوا أمام **مجدل بعد أن رجعوا من فم الحروث**. وهاكم اسم **الحروث**: محافظة تعز - **مديرية المعافر** - عزلة الشعوبــه - قرية الضهرة - محلة **الحرثية (لاحظ التأنيث)**.

وهكذا، فقد انتقلوا من أطراف مديرية ماوية ودخلوا في مديرية التعزية واقتربوا من مقبنة الملاصقة لمديرية المعافر. ورد اسم **الُحرث** في نقش النصر الشهير الذي سجل فيه **كرب ءيل وتر بن ذمر علي** انتصاراته نحو ٦٥٠ق.م أي قبل ١٥٠ عاماً من كتابة التوراة في صورة: **حرتو**. وجاء في نص النقش[١٠] أن المكرب الأخير **كرب إيل وتر**، استولى على «**حرتو**» وكل **المدن والأودية** والمناطق والجبال والمراعي في منطقتي «**دث**» «**داث**»، وكنا رأينا أن **د/ ث اسم إله ومعبد**. كما أن المكرب استولى على كل أرض «تبرم» بما فيها من سكان وأملاك وأموال حتى

البحر، وكذلك كل المدن من «تفض» إلى اتجاه «دهس» أي منطقة يافع والسواحل وكل بحار هذه الأرضين[١١]. وسنرى تالياً كيف أن المملكة الدينية الصغيرة (إسرائيل) نسبت إلى نفسها كل انتصارات المكرب إيل وتر بن سمع علي، وتخيّلته ملكها داود؟

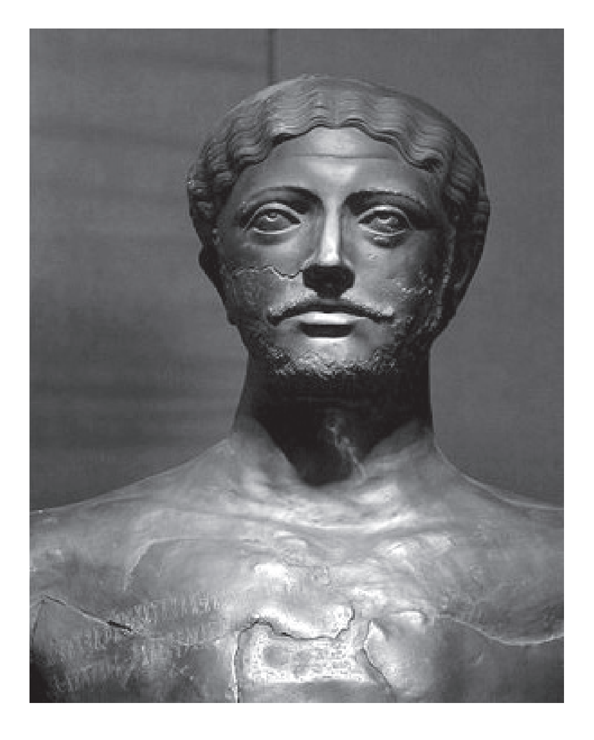
٤: ثم ارتحل موسى بإسرائيل من **يام** - **سوف** وخرجوا إلى **برية شور**. فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء. **ויסע משה את ישראל מים סוף ויצאו אל מדבר שור וילכו שלשת ימים במדבר ולא מצאו מים**

طبقاً لهذا الوصف، يكون موسى قد ارتحل ببني إسرائيل من **مجدل** - **مجدلة** في **مديرية التعزية**، واتجه شمالاً صوب سلسلة **جبال شور** ليدخل عزلة جبلية أخرى غزيرة المياه. إن جملة من **يام - سوف מים סוף** تترجم خطأ إلى (**بحر سوف**). وهذه ترجمة اعتباطية، لأن **يام** - **يم** هنا تعني مياهاً وليس بحراً. ومن الواضح أن سلسلة **جبال شورة** - **شور** التي يسميها النص بريّة، تشير إلى وجود أودية غزيرة المياه. ها هنا سلسلة جبال ووديان تشكّل ما يسمّيه النص التوراتي **مياه سوف מים סוף**.

لقد انتقل موسى ببني إسرائيل متجهاً صوب البريّة من **مياه سوف** (وليس من **بحر سوف**). وهذه نجدها في اسم عزلة جبلية شهيرة في **مديرية ذي السفال الملاصقة لمديرية السيّاني**، وتدعى **عزلة السيف**. والعزلة ترتبط جغرافياً بسلسلة جبال **مشورة** - **شور** التي تمتد داخل **محافظة إب**. وهذا يعني أنه انتقل بهم من **مديرية التعزية واقترب من تخوم مديرية ذي السفال**، ثم أخذ الطريق الجبلي صوب البرية. **وجبال شور** - **جبال مشورة** (**شور** بإسقاط الميم

الحميرية) تقع جنوب **مديرية حبيش من إبّ** وتشتهر بوجود آثار قديمة فيها. وإلى الشرق منها، جبل الخضراء الذي يطل على وادي **السيَّاني**.

وإذا ما سرنا على خطى المهاجرين، فسوف يتعين علينا أن نمشي نحو ثلاثة أيام قبل أن نعبر هذه السلسلة الجبلية. إن خط سير المهاجرين هنا، يرسم صورة دقيقة لجغرافية سفر الخروج، فهم ساروا في البرية، ثم اجتازوا مياه عزلة (**سوف – سيف**) لتصادفهم **سلسلة جبال مشورة – شور**.



تمثال ضخم من البرونز يمثل المكرب اليمني كرب إيل وتر بن ذمر سمع علي، آخر مكاربة مملكة سبأ وصانع انتصاراتها والذي تخيّلته التوراة

في صورة داود (ذو – ود) معروض اليوم في متحف صنعاء. هو آخر المكربين وأول ملوك سبأ. بدأ حكمه وهو يحمل لقب **(مكرب)** على سبأ، ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه لقب **(ملك سبأ)**. ورد اسمه في النص الأشوري الذي خطه الملك الأشوري **(سنحاريب)** باسم **(كريبي ايلو)** نحو عام ٦٨٥ ق.م، وتحدث فيه عن هدية أرسلها إليه هذا المكرب. لكن فترة حكم المكرب في بعض التقديرات قد تعود إلى القرن السابع ق.م حكم خلالها وهو يحمل لقب مكرب لمدة عشر سنوات، ثم حكم السنين الباقية ملكاً. والمؤكد أنه كان معاصراً للملك الأشوري (سنحاريب). قضى كرب إيل وتر شطراً كبيراً من حكمه محارباً، مقتفياً في ذلك أثر سلفه المكرب يثع أمر بين في التوسع والقضاء على **الممالك التابعة لمعين الجوف، وبشكل أخص الممالك الصغيرة في جنوب اليمن**، وإخضاعها لحكمه ولحكم السبئيين، كما ورد في نقشه الكبير المسمى **(نقش النصر)** (RES: ٣٩٤٥).

٥: وَسَارُوا مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي بَرِّيَّةِ إِيتَمَ وَنَزَلُوا فِي مَارَّةَ.

تقع **مارة** اليوم في **محافظة إب، مديرية العدين**، ضمن عزلة جبلية تسمّى (عزلة جبل بحري) حيث توجد قرية الرجمه **والمريره**، و**محلة المريره العالية.** هذا يعني أن الموكب أمضى ثلاثة أيام في الشريط الجبلي الذي يجمع **مديرية السيّاني بمديرية العدين، حيث تطل جبال مشورة – شور على المكان.** ولنتذكر، أنهم كانوا قد ساروا من قبل في **وادي إيتم – ميتم** (راجع الصفحات السابقة)، ولكنهم هذه المرة أخذوا طريق الوادي الفسيح نفسه متجهين صوب البريّة، فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماءً.

וילכו שלשת ימים במדבר ולא מצאו מים فجاءوا إلى مارّة. ولم يطيقوا شرب الماء من مارّة لأنه مرّ. لذلك دعي اسمها **مارّة**. **ויבאו מרתה ולא יכלו לשתת מים ממרה כי מרים הם על כן קרא שמה מרה**

٦: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَارَّةَ وَأَتَوْا إِلَى إِيلِمَ

وها هنا **إيلم** التوراتية باسمها القديم: محافظة تعز، مديرية **شرعب السلام**، عزلة الأمجود، قرية الجبيره، محلة **شعب اللومه** (لاحظ التأنيث إيلم – لومة). وبالفعل؛ فإن من يبلغ **مديرية العدين** سوف يدخل مديرية **شرعب السلام** التي تشكل معها فضاءً طبيعياً ودينياً متكاملاً، كما سوف نرى.

٧: وَكَانَ **فِي إِيلِمَ اثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنَ مَاءٍ، وَسَبْعُونَ نَخْلَةً**. فَنَزَلُوا هُنَاكَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **إِيلِمَ** وَنَزَلُوا عَلَى **(يام)** و **(زوف)**.

أودّ الإشارة هنا إلى أنّ صيغة الاسم **(زوف)** في هذه الآية، مختلفة عن صيغة الاسم السابق **(سوف)**، وهما صيغتان مستقلتان رُسمتا بحرفين متقاربين (الزاي والسين). وفي العبرية يستخدم لهذا الغرض حرف السامك **(ס)**. لذلك، يجب التمييز بينهما، لأن إحداهما **سيف والأخرى زوف**. تدلّ الأولى على مكان، والأخرى على اسم جماعة قبلية. ولأن الأمر يتصل بمكانين مختلفين، والأخير كما رأينا هو **سيف** (قلب الواو ياء)، فمن المؤكد أن الاسم الأول ينصرف إلى قبيلة تعرف باسم **(زوف)**، وهم من قبائل **إب وتعز – إقليم المعافر**. وقد وصف الهمداني مساكنهم وأوديتهم.

والزوفيون (بنو زوف) يعرفون في التوراة وفي جغرافية اليمن بالاسم نفسه دون أدنى تصحيف: **(زوف)**. وبذلك، يكون الموكب قد اجتاز **مياه أرض بني زوف**. وهؤلاء هم **قبائل إقليم المعافر** الشهير الذي كان مخلافاً (مملكة قديمة). لقد ارتحل الموكب من عزلة جبلية في مديرية العدين ودخل في **مديرية شرعب السلام** إلى عزلة جبلية مجاورة تعتبر إدارياً اليوم ضمن ما يسمى **شرعب الرونة**، وهي وادٍ كثير النخل. وهذا الوادي يعرف حتى اليوم باسم **وادي نخلة ويتبع مديرية شرعب الرونه، عزلة الهياجم حيث توجد قرية لا تزال تحمل الاسم نفسه: وادي نخلة**. وفي هذا الوادي تصبّ مياه عدد من الأودية الصغيرة الجارية من المرتفعات الجبلية من الجهة الشمالية من محافظة تَعِز، ومن المرتفعات الجبلية من الجهة الجنوبية الغربية من محافظة إب، وتسيل إليه من الجهة الشمالية مياه مرتفعات جبال شرْعَب، فهو وادٍ دائم الجريان طوال العام، ما جعل المنطقة بقعة خضراء رائعة. ومعلوم أن شرعب السلام وشرعب الرونة كانتا مكاناً واحداً جرى تقسيمه إلى مديريتين في العقود الأخيرة لأغراض إدارية فقط.

-٥-

تقديس أماكن جديدة: شرعب السلام وجاراتها

في المقطع السابق لاحظنا أن موكب الحجاج وصل إلى **شرعب السلام وشرعب الرونة**. إن هذا الجزء من الأرض المقدّسة التي وصل إليها الحجاج، هو الذي سوف يصبح تالياً - وبعد وقت طويل ومع تأسيس الملكية في بني إسرائيل نحو ٩٠٠ ق.م، أي بعد نحو ٤٠٠ عام - محيطاً طبيعياً أو حزاماً جغرافياً يحيط بالعاصمة الدينية: **أورشليم**. وأريد هنا أن أكشف للمرة الأولى عن الفضاء الجغرافي **لأورشليم القديمة في اليمن**، على أن نترك تحديدها الدقيق للكتاب القادم نظراً إلى كثرة التفاصيل الضرورية. هذا الفضاء الجغرافي هو الفضاء الذي نشأت فيه البقعة المقدّسة التي تجمع **شرعب السلام مع شرعب الرونة ومديرية العدين في إب**، ولنلاحظ أن التقسيم الإداري الجديد لليمن، احتفظ لنا **ببقايا من اسم أورشليم هذه في صورة (السلام: شرعب السلام)**. كما أن اسم **شرعب الرونة** احتفظ لنا باسم **تابوت العهد القديم**: ءرون - **الرون**. ها هنا المكان الذي سوف تظهر فيه أورشليم. وفي سلسلة الكتب القادمة ضمن مجلد (إسرائيل المتخيّلة سوف أقدّم كل الأدلة والمعطيات والدلائل العلمية الخاصة بهذا الاكتشاف المثير).

وبعد أن بلغ الموكب الأرض المقدّسة واستراح الحجاج هناك، عادوا - في موسم حجّ جديد - لتقديس أماكن جديدة سوف يتجلّى فيها الرّب يهوه. ها هنا تسلسل آخر من أسفار بني إسرائيل:

١ : (ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **يام وزوف** وَنَزَلُوا فِي **بَرِّيَّةِ سينة** - صين **סין**)

ها هنا عزلة جبلية تدعى **عزلة سينة** – صين **סין وليس سيناء**. وهي عزلة مجاورة في قطاع صغير يعرف اليوم بمديرية **صبر الموادم**. هاكم اسم المكان الذي بلغه الموكب: **محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة الحازه، قرية العرمه، محلة السينه** – صين **סין** (**وكنا قد أشرنا إلى أن عبرية يهود هذه المنطقة تؤنث الاسم المذكر**).

٢: (ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **بَرِّيَّةِ سينة** وَنَزَلُوا في **دُفْقَةَ**)

ויסעו ממדבר סין ויחנו בדפקה

تعني كلمة דפקה (دفقة) باللغة العبرية التوراتية، **الضرب، الدق، المضاجعة... إلخ: دق دقاً، ضرب ضرباً**. ويُلاحظ أن مترجم النص العبري أبقى على الكلمة برسمها العبري: **דפקה** (دفقه). ولكن، من الواضح أن سكان المنطقة، مع اندثار العبرية القديمة (التي يتكلم بها حتى اليوم عدد قليل منهم) استبدلوا الرسم العبري برسم عربي: **الضراب – الضرب**. ولأن اسم هذه القرية لا وجود له في صيغته هذه إلا في محافظة إب، مديرية ذي السفال، عزلة حبير، حيث توجد قرية باسم (**قرية الضربه**)، فهذا يعني أنهم اتجهوا **من صبر الموادم شمالاً**، مقتربين من تخوم إب. **ليدخل موكب الحجاج في عزلة جبلية يمرّ بها وادي الوش**.

٣: (ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **دُفْقَةَ** وَنَزَلُوا فِي **أَلُوشَ**)

في هاتين الآيتين من السفر، نفهم أن الموكب غادر **بريّة السينة סין** في مديرية **صبر الموادم الملاصقة لمديرية شرعب السلام**، مقترباً أكثر من تخوم **محافظة إب**، ليتجه صوب **وادي الوش**. وليس ثمة مكان بهذا الاسم الفريد سوى

وادي الوش في مديرية السياني ضمن عزلة العريبيين، حيث نجد الوادي هناك باسمه التوراتي هاكم اسم المكان: **محافظة إب، مديرية السياني، عزلة العربيين، قرية وادي وش. وهذه المديريات متجاورة وتشكل فضاءً جغرافياً واحداً يتميز بوجود سلسلة جبال ووديان خصبة.**

ثم ارتحلوا من **الوش** ونزلوا في **رفيديم**. ولم يكن هناك ماء للشعب ليشرب.
ויסעו מאלוש ויחנו ברפידם ולא היה שם מים לעם לשתות

ما تقوله هذه الجملة هو الآتي: أن الموكب ما إن ترك **وادي الوش** خلفه، حتى وجد نفسه في منطقة شحيحة المياه تدعى **رفد** (الرفد – رفديم – الياء والميم العبرية هي أداة تثنية وجمع). و**رفديم** هذه تقع في **مديرية التعزية** المجاورة. هذا يعني أن الموكب اتجه - حسب التسلسل - من **شرعب السلام وشرعب الرونة ودخل صبر الموادم، ومنها اتجه شمالاً نحو مديريتي ذي السفال والسّياني عند أطراف مديرية التعزية**. هاكم اسم المكان الذي بلغه الموكب. **محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة حذران، قرية الأذمور، محلة المرفد.**

٤ : ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صيني (م – دبر – صيني) **ויסעו מרפידם ויחנו במדבר סיני**

لكن الموكب بعد الاستراحة عاود السير من جديد واجتاز مكاناً بعينه هو **بريّة صيني** ولنلاحظ هنا كيف اختلف رسم الكلمة **صين – سينه**، فالنص هنا يرسمها في صورة (**סיני** **صيني** وهو رسم مختلف عن السابق **סין**). هاكم اسم المكان الذي دخله موكب الحجاج: **محافظة تعز، مديرية المظفر،**

عزلة المظفر حيّ المظفر، محلة صينه. ومديرية المظفر هي قطاع صغير آخر أصبح اليوم مديرية قائمة بذاتها، متاخمة **لصبر الموادم** من الشمال الشرقي. يعني هذا أن الموكب عاد من جديد إلى المكان الذي انطلق منه.

٥: ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَرِّيَّةِ صيني – صينه وَنَزَلُوا فِي قَبَرُوتَ هَتَّأَوَةَ ויסעו ממדבר סיני ויחנו בקברת התאוה

إن اسم هتأوة התאוה اسم فريد في مبناه، ولا وجود له بكل تأكيد في **سيناء المصرية، وهو** كما قلنا في صفحات سابقة، **معبد ديني قديم يقع في جبل ريام بمنطقة أرحب** إلى الشمال من العاصمة **صنعاء**. يدعى المعبد **معبد ريام** وهو داخل **مدينة دينية تحمل اسم (أتوة)**. وكنا قد شرحنا العلاقة بين **ريام ومريم** في صفحات سابقة. لقد انتقل هذا الاسم إلى منطقة أرحب شمال صنعاء في وقت ما، بعد أن قدّسه موسى مع مجموعة من المواضع الجديدة. تؤدي كلمة **تأو** في العبرية وظيفة البادئة في اسم الإله وتدلّ على الرّب. **والتأو** في دلالات الكلمة العبرية التي تسبق اسم الإله، تشير إلى ذروته، قمته، رأسه.

وبهذا المعنى يكون مؤدى جملة **קברת התאוה** (مقبرة **الثوى – توى) أي المثوى الذي يبلغ معه المتعبّد لحظة الذروة، حين يصبح فوق الجبل قريباً من الرب. وهذا المفهوم الديني للدفن أي المثوى. وفي هذا المكان الذي بلغه الموكب حيث دفن موسى الموتى من بني إسرائيل إثر غضب الرّب، سوف نعثر على الاسم: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة الأحجور، قرية الرحبه، محلة المقيبره.** ويبدو أن المكانة المقدّسة التي اكتسبها **موضع أتوة** ارتباطاً بمعبد الإله **تالب ريام** (قارن الصيغة ريا – م مع صيغة اسم مريم: م – ريم) ساعدت على انتشار معابده في اليمن. وهذا الجبل المقدّس يعرفه علماء الآثار جيداً، وقد

ارتبط اسمه باسم إله **قبيلة سُمعي** الذي يدعى **(تألب ريام)**. نفهم من هذا المقطع في السفر، أن الموكب ترك **صينه - السينة في مديرية المظفر**، متجهاً إلى **مديرية شرعب السلام**، ليستريح هناك قرب مكان مقدّس فيه **مقبرة** دفن فيها بنو إسرائيل بعض موتاهم، بعد حادثة الصراع بين مريم وموسى (انظر الصفحات السابقة التي تحدثنا فيها عن هذا الخلاف بسبب زواج موسى بامرأة وثنية).

٦: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَبَرُوتَ هَتَّأَوَةَ وَنَزَلُوا فِي حَضَيرُوتَ

وهكذا، وفي نهاية المراسم والشعائر الدينية والاستراحة، غادر الموكب قرية من قرى **شرعب السلام ليدخل عزلة جديدة . هاكم اسم العزلة الجبلية التي وصلها الموكب :محافظة تعز ، مديرية شرعب الرونه، عزلة الأجشوب، قرية دارالحضير (الوزن العبري حضير- حضيروت)**

٧: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَضَيرُوتَ وَنَزَلُوا فِي رِثْمَةَ

تعني كلمة رثم - رثمة רתם في العبرية: اللجام. أي ما يلجم به الجمل أو الحصان. ويبدو أن سكان المنطقة احتفظوا بالصيغة العبرية القديمة لكلمة لجم: رثم. واليوم نجدها في المكان نفسه. لقد انتقل الموكب من عزلة حضيروت إلى قرية في صبر الموادم تتبع عزلة تدعى عزلة العدنه لينزلوا في قرية تدعى اللجم. لقد اختفت صيغة الاسم العبري **رثم** من هذا المكان، ولكنها عادت لتظهر في مكان آخر في **محافظة صنعاء، مديرية أرحب، عزلة المنصور، حيث نجد هناك الاسم نفسه: قرية رثم** (لاحظ تأنيث الاسم المذكر).

٨: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِثْمَةَ وَنَزَلُوا فِي رِمُّونَ وفَارِصَ.

أريد أن أنبّه القارئ هنا إلى أن النص العبري يخلو من الفواصل، والأسماء الواردة في النصوص تتبدى أحياناً كما لو أنها أسماء مركّبة مثل **رمون فارص**. الصحيح أنهما موضعان، احدهما رمون والآخر فارص.

وهكذا، صعد الموكب متجهاً من شرعب الرونة ثم صبر الموادم ليتجه صوب **مديرية صالة الملاصقة لصبر الموادم**، وليدخل عزلة أخرى تدعى **رمون**. وها هنا اسم المكان الذي بلغه الموكب: **محافظة تعز، مديرية شرعب الرونه**، عزلة مورخة ،قرية مورخة **محلة الرماني** (رمون). أو نجدها في المكان نفسه ولكن في قرية أخرى: مديرية شرعب الرونه، عزلة الحسيه، قرية **الرمانه**. كما توجد في المديرية نفسها قرية أخرى بالاسم نفسه: مديرية شرعب الرونه وضمن عزلة بني سميع، قرية الموسطة محلة **الرمانة**. **أو في المديرية المجاورة مديرية صاله، عزلة صالة، حي صالة، محلة حارة رومان – رُمان**. إن كلمة **فارص – فرص** هي ذاتها الكلمة العربية الفراض (لأن العبرية لا تعرف حرف الضاد). وهذه الكلمة تستخدم للدلالة على مكان يشرف على الماء. وهنا وفي داخل هذا الفضاء الجغرافي المليء بالجبال والوديان، ينصرف معنى الكلمة إلى مياه الوديان. لكن لكلمة فرص – فرصه في العبرية دلالات كثيرة من أهمّها: حافر، ظلف، حدوة الحصان، كما تعني الأرض التي لا يجوز للكاهن أن يطأها لأنها أرض مقبرة. ولأن الموكب توقف في رمون – روُمان، فقد اتجه بعد ذلك صوب الفراص. وهذه نجدها في المكان نفسه: **محافظة تعز، مديرية مقبنه، عزلة بني صلاح، قرية الفريصه** (لاحظ التأنيث هنا).

٩: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِمُّونَ وفَارِصَ وَنَزَلُوا فِي لِبْنَةَ.

ثم عاد الموكب مرة أخرى إلى مديرية صبر الموادم، ليدخل **لبنة،** وهي محلة تتبع عزلة الحازه، وقرية الموسطه **تدعى اليوم، محلة شعب اللبان**

١٠: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ لِبْنَةَ وَنَزَلُوا فِي رِسَّةَ

وبعد أن استراح الحجاج في شعب لبنة، اتجهوا صوب مديرية المسراخ ليدخلوا عزلة جبلية أخرى ويستريحوا في موضع يدعى رسه. هاكم اسم الموضع: محافظة تعز، مديرية المسراخ، عزلة الأقروض، قرية راس وتدعى اليوم راس النقيل. والنقيل تعبير يمني أصيل، يقصد به القبيلة المهاجرة المتنقلة.

١١: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِسَّةَ وَنَزَلُوا فِي قُهَلاَتَةَ

ومن هذه المديرية أخذ الموكب طريقه نحو إقليم (مديرية) المعافر، ليدخل عزلة جبلية جديدة هي قهلات – القلات. هاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة السواء، قرية البطنة، محلة القلات (قهلات – قلات بإلحاق الهاء مثل شمر يرعهش – يرعش، يهريق الماء – يريق الماء).

١٢: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قُهَيْلاَتَةَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ صفر

ויסעו מקהלתה ויחנו בהר שפר

ومن مديرية المعافر اتجه الموكب صوب مديرية مقبنة مرة أخرى، ليدخل في عزلة جبلية تدعى صفر. هاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية مقبنه، عزلة بني صلاح، قرية هجده، محلة صفرة (لاحظ التأنيث)

١٣ : ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ صفر وَنَزَلُوا فِي حَرَدَةَ

ومن مديرية مقنبة عاد الموكب مرة أخرى إلى شرعب السلام، وليدخل في عزلة جبلية وفي موضع الحريد. هاكم اسم الموضع: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة عزبان، قرية الشعوبه، محلة الحريد.

-٦-

موسم حج آخر

١ : ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَرَدَةَ وَنَزَلُوا فِي مَقْهَيْلَتَ

وفي موسم حجّ آخر، انطلق الموكب على الطريق المقدس نفسه من **شرعب السلام نحو مديرية صبر الموادم**، ليدخلوا عزلة جديدة ويستريحوا في موضع يدعى **مقهلوت**. هاكم اسم الموضع: **محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة برداد، قرية الظهره، محلة المقهايه**

٢ : ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَقْهَيْلُوتَ وَنَزَلُوا فِي تَحَتَا

تعني تحتا – تحيت باللغة العبرية – **תחת**: الأسفل، الجزء السفلي، مثل مصريم – هـ – ت – ح – ي – ت أي **مصر السفلى מצר ים תחת**. لقد انطلقوا من شرعب السلام صوب مديرية التعزية في موسم حجّ جديد. فبلغوا عزلة جبلية تدعى **تحيت** بالعبرية **أي السفلى**. **وها هو اسم المكان: محافظة تعز مديرية التعزية، عزلة الشعبانيه السفلى.**

٣: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ تَحَتَا وَنَزَلُوا فِي تَرَحَ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ تَرَحَ وَنَزَلُوا فِي مشقَةَ

لكنهم عادوا أدراجهم ليتجهوا نحو ما يدعى اليوم مديرية **فرع العدين** في إب، ليقصدواعزلة جبلية تدعى الوزيرة، ولينزلوا في قرية الراهدة، وتحديداً في **محلة تارح** (التاء الحميرية ألف ولام – **الراح**). وها هنا محلة تدعى اليوم **الراحة**.

ثم ما لبث الموكب أن تحرك قاصداً قرية مشقه - الشقة. وها هنا اسم المكان: محافظة تعز مديرية التعزية، عزلة الشعبانيه السفلى، قرية **الشاقة**.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مِشقَةَ وَنَزَلُوا فِي حَشْمُونَةَ

وبذلك أصبح موكب الحجاج عند تخوم مناطق **الحسمونيين - الحشمونيين** في قلب تعز، بقلاعهم وحصونهم المنيعة. وحسب هذا التوصيف، يكون الحجاج قد أصبحوا في بقعة جغرافية (تفصل إدارياً بين إب تعز). لقد تركوا قرية **الشاقة** خلفهم واتجهوا نحو **مخلاف حشم (حشمون)**. **وحشم** (الوزن العبري حشمون) مخلاف يمني قديم، أطلق في وقت من الأوقات على ما يدعى اليوم **مديرية شرعب الرونة في تعز**، وكانت تعرف بـ**(مخلاف حشم)** نسبةً إلى شرْعَب بن **حشم** بن عبد شمس، بحسب كتب أنساب اليمنيين الأسطورية. وأشهر جبالها **جبل الزراعي** - ءزرعي في التوراة. وشرعب مخلاف واسع شديد الخصوبة، وقد أوردت المصادر التاريخية إشارة إلى بلاد شرعب وحصونها الشامخة التي تمتاز بعلوها الشاهق وانحدار تكويناتها الصخرية. وحتى اليوم هناك عزلة تعرف باسم عزلة **حسم** - **حسام** في شرعب الرونة **هناك عزلة تعرف باسم عزلة حسم - حسام في شرعب الرونة**.

٤: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَشْمُونَةَ - حسمونة وَنَزَلُوا فِي مُشِرُوتَ

٥: ثم ارتحلوا من مشيروت - **السروت** ونزلوا في **بني يعقان**. **ויסעו ממסרות ויחנו בבני יעקן**

إن رسم الاسم **מסרות** في صورة **مشيروت**، ينطوي على خطأ في فهم طريقة رسم الحروف بالعربية، لأن المترجم رسمه بحرف (ش)، بينما

النص يرسمه في النص العبري بحرف السامك (**ס**). وهو حرف تجتمع فيه أصوات ثلاثة حروف: ز، س، ص ليس من بينها حرف الشين ولذلك، فالرسم الصحيح للاسم هو **مسروت** - **سروت**. وهؤلاء قبيلة يمنية تعرف باسم **بني سُرت**، لا تزال منهم بقية في **شرعب السلام**. وهكذا يكون موكب الحجاج قد شق طريقه نحو **مديرية المسراخ**، ليبلغ قرى ومنازل **بني يعقان**. وها هو الموضع أمامنا: **محافظة تعز، مديرية المسراخ، عزلة وتير، قرية عقن** (يعقن - والياء تسقط عند النطق).

٦: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَنِي يَعْقَانَ وَنَزَلُوا فِي حُورِ والْجِدْجَادِ

لكن الموكب غادر **قرية بني يعقان** - **عقن** واتجه نحو قرية **حور** ولينتقل منها إلى **قرية الجداجد** (بالنطق اليمني الجيم تنطق جيماً مصرية جد/جد - كد/ كد). وها هنا اسم الموضع الذي وصل إليه الحجاج: محافظة تعز، **مديرية المسراخ**، عزلة الأقروض، قرية الحجرين، **محلة الكدكاد**، لينتقلوا منها إلى **حورة**، وهي قرية من قرى **مديرية سامع** المجاورة **لمديرية المسراخ**. وها هنا اسم الموضع: محافظة تعز، **مديرية سامع**، عزلة سامع، قرية **حورة**.

٧: ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حُورِ والْجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي يُطْبَتَ

ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ يُطْبَاتَ - يطبت وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونَةَ

وبذلك، يكون الموكب قد دخل **مديرية المواسط** وفي عزلة بني حماد، لينزل في قرية تدعى عزلة الجبال وفي موضع بعينه يدعى **عبرون**، وهو اليوم موضع محلة تدعى **العبر** (النون الحميرية آخر الاسم أداة تعريف كما في النقوش: عدنن - العدن). **وهنا نجد اسم النبي التوراتي نحميا في اسم**

قرية في هذه المديرية: محافظة تعز مديرية المواسط، عزلة الأيفوع، قرية نحمة – نحميه.

أما **يطبات – الطيبات** فهي محلة تدعى اليوم (الطيب): كدرة **الطيب التي أصبحت إدارياً ضمن التقسيم الجديد ضمن مديرية الشمايتين** وفي عزلة شرجب وقرية واسر، حيث نجد الاسم هناك: **الطيب.**

٨: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونَةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ

ויסעו מעברנה ויחנו בעציון גבר

ومع دخول الموكب إلى مديرية المواسط، يكون قد اقترب من عصيون وجابر (وهما موضعان). نجد اسم عصيون في مديرية جبل حبشي ضمن عزلة المراتبة، وتدعى حتى اليوم قرية عصوان. كما نجد قرية بني جابر. وهاكم اسم الموضع: مديرية المواسط، عزلة الأيفوع، قرية بني جابر.

٩: ثم ارتحلوا من **عصيون وجابر** ونزلوا في **برية صن** ويكون **قدس**. **ויסעו מעציון גבר ויחנו במדבר צן הוא קדש:**

ولذا، شقّ الموكب طريقه نحو جبل قدس المبارك، ليقدّسه موسى وشعب بني إسرائيل، فانعطف نحو عزلة جبلية تربط قدس بجبل صنة – الصنة. وهاكم اسم الموضع: مديرية المعافر، عزلة الصنة. وها هنا طريق **جبل صنه** الذي يؤدي مباشرة إلى **جبل قدس في مديرية المواسط** في العزلة الشهيرة بـ **(عزلة قدس).**



الطريق من صنه حتى جبل قدس

١٠: ثم ارتحلوا من **قدس** ونزلوا في **جبل هر** في طرف **أرض ادم** **ויסעו מקדש ויחנו בהר ההר בקצה ארץ אדום**

تعني كلمة **هر** **הר** في العبرية **(جبل)**. والجملة أعلاه تشير إلى انتقال الموكب إلى عزلة جبلية تعرف باسم **(هر - الجبل)**. وهاكم اسم المكان الذي استراح فيه الحجاج: وها هنا **(هر)** بصيغته العربية في المديرية ذاتها **مديرية المواسط في عزلة بني حماد، حيث قرية بني سميع التي تضم موضع محلة الجبل**. وفي هذه العزلة نفسها سنجد اسم **ادم - الدوم**. وهاكم اسم الموضع الذي ارتحل صوبه موكب الحجاج بعد انتهاء مراسم تقديس **جبل قدس: مديرية المواسط، عزلة بني يوسف، قرية الدوم.**

١١: فصعد هرون الكاهن إلى **جبل هر** حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من **أرض مصريم** في الشهر الخامس في الأول من الشهر. **ויעל אהרן הכהן אל הר ההר על פי יהוה וימת שם בשנת הארבעים לצאת בני ישראל מארץ מצרים בחדש החמישי באחד לחדש**

هذا هو – بكل أمانة علمية – خط سير المهاجرين دون أدنى تلاعب. ما يدهش قارئ هذه النصوص، هو عودة المهاجرين مرة أخرى إلى **جبل قدس** ألا يعني ذلك، أن الرحلة كانت هجرة دينية طاف خلالها المهاجرون حول سلسلة من الجبال والوديان في مناطق مختلفة لتقديسها ثم عادوا إلى المكان المقدس نفسه: جبل قدس؟ ليس ثمة خطأ وقع في ظروف غامضة أدّى إلى فوضى في تدوين الأسماء. الأدقّ أن الخطأ يكمن في قراءة الأسماء الواردة في السفر، ما أدّى إلى مطابقة جغرافية التوراة مع **جغرافية فلسطين أو سيناء مصر**

الهوامش

(١) إرياني: نقوش مسندية وتعليقات ١٩٩٠.

(٢) نقوش جام: Albert Jamme: Sabaean In Mahram Bilqis (Marib) (١٩٦٢) Publisher: Johns Hopkins Press

(٣) ويبدو أنه عرف باسم جبل الرب، وذلك واضح من هذه الآية: (٢٧وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ).

(٤) انظر كتابنا: غزال الكعبة الذهبي.

(٥) رعمه (٢٧ ; ١٤ : ١٥) حزقيال: النص العبري.

(٦) كما نجده في أسماء مواضع أخرى، منها موضع الرعاه في الحديدة، وفي اسم المخلاف اليمني الذي يعرف حتى اليوم باسم مخلاف الراعي في مديرية خولان – ومن مخاليف هذه المديرية مخلاف دايان–.

(٧) انظر كتابنا: المراثي الضائعة.

(٨) فقال لأهل سكوت أعطوا أرغفة خبز للقوم الذين معي لأنهم معيون وأنا ساعٍ وراء زبح وصلمناع ملكي مديان. ויאמר לאנשי סכות תנו נא ככרות לחם לעם אשר ברגלי כי עיפים הם ואנכי רדף אחרי זבח וצלמנע מלכי מדין:

(٩) وادي إيتم الذي تأتي مياهه من إب وتصبّ فروعه في إقليم المعافر وصولاً إلى لحج. وهنا، يمكننا تتبّع مسار الوادي ورؤية الموكب يشق طريقه في الأطراف. يقع وادي إيتم في محافظة إب – مديرية إب في عزلة تدعى عزلة ميتم، وتجري مياهه في طريق طويل عبر تعز متجهة نحو تخوم لحج، وتنضم إليه مياه أودية كبيرة أخرى، منها وادي جِبلة وأودية جبل بَعْدان القادمة من إب وصهبان والسَبْره. كما تصبّ مياهه في أجزاء واسعة من إقليم المعافر، قبل أن يتجه إلى وادي تبن في محافظة لحج. وهذا يعني أن الجماعة

المهاجرة أخذت طريق الوادي من نقطة محدّدة في تعز حيث تصبّ مياه الوادي، ثم ساروا صعوداً في أطراف محافظة إب. وفي هذا الطريق سوف تصادفهم مواضع كثيرة ينزلون فيها للاستراحة، قبل أن يواصلوا السير.

(١٠) نقش النصر- صرواح RES: ٣٩٤٥: انظر ما سنكتبه عن نقش النصر.

(١١) هذه أسماء مدن ومواضع يمنية معظمها لا يزال معروفاً.

سفر الخروج الثاني

وما يؤكد لنا أن **الخروج كان خروجاً دينياً**، نُظم قصد الاحتفاء بالإله الخاص لجماعة، رأت أن الرّب اختارها شعباً (خاصاً به)، وهي اختارته إلهاً دون غيره من آلهة الجماعات القبلية الأخرى، أنّ **هجرة دينيّة ثانية** حدثت بالفعل بعد وفاة **هارون**، الأمر الذي يعني أن **الخروج الجديد** كان تواصلاً وإحياءً **للخروج الأول** واستمراراً في طقوسيته، فالنصّ يتضمن أسماء مواضع جديدة لم ترد في **نص الخروج السابق**. وإلا، فهل يعقل أن يكون الباعث أو الدافع هو ظلم **الفرعون** والهروب منه؟ يُفترض أن المهاجرين (قد تحرروا من سلطة الفرعون في هذه المرحلة وبعد أربعين عاماً). كما أن المواضع التي ارتحل إليها **بنو إسرائيل** بعد موت **هارون الكاهن** لم تكن تيهاً ولا بحثاً عن أرض ميعاد، وهي مواضع لم يصلوها من قبل؟

هنا النص في العبرية والعربية

١: فصعد **هرون الكاهن** إلى **جبل هور** حسب قول الرب ومات هناك في **السنة الأربعين لخروج** بني إسرائيل من **أرض مصريم** في الشهر الخامس في الأول من الشهر.

ייעל אהרן הכהן אל הר ההר על פי יהוה וימת שם בשנת הארב־עים לצאת בני ישראל מארץ מצרים בחדש החמישי באחד לחדש:

وكان **هرون** ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات في **جبل هر**. **ואהרן בן שלש ועשרים ומאת שנה במתו בהר ההר**

وسمع **الكنعاني ملك عرد** وهو ساكن في **الجنوب** في **أرض كنعان** بمجيء بني إسرائيل **וישמע הכנעני מלך ערד והוא ישב בנגב בארץ כנען בבא בני ישראל**

لنلاحظ أن النصوص تتحدث عن هجرة أو رحيل آخر بعد ٤٠ عاماً، ما اعتبر خطأً (أنه فرار من الفرعون). وهذا تصوّر غير منطقي. فلماذا يواصلون الهروب من الفرعون بعد مضي أربعين عاماً؟ لكنه سيكون منطقياً فقط حين نعالج النصوص على أنها تسجيل لمواسم حجّ متواصلة كل عام. ولنلاحظ أن النص هنا يتضمن رسماً لكلمة (**هر**) بمعنى جبل في صورتين: **هر**، **وهور**، مع أن الرسم بالعبرية هو نفسه (هر): **הר** يدلّل هذا الأمر بشكل قاطع على أن الكهنة الذين تعاقبوا على تحرير النصوص، رسموا أسماء المواضع بحسب طرائق النطق التقليدية عند يهود اليمن، فبعضهم ينطق هر في صورة هور، ولذا نجد رسم الاسم مختلفاً، بينما النص يتحدث

عن الواقعة ذاتها إن وجود طريقة اعتباطية في رسم أسماء المواضع، سينجم عنه لا محالة تضليل للقارئ وتشويش لمعارفه بجغرافية السفر التوراتي؟ إن تعبير **ملك عرد** ساكن الجنوب في **أرض كنعان** **הכנעני מלך ערד והוא ישב בנגב בארץ כנען** يشير إلى أن المقصود به ملك **مخلاف قديم** يدعى **عرد** يقع جنوباً.

لكن هذا التعبير ينطوي على تضليل من نوع آخر، فكلمة **בנגב ب - جنب، لا تعني في الجنوب، بل في موضع بعينه اسمه جنب، وهو سراة جبلية في محافظة تعز، مديرية شرعب الرونه، ضمن عزلة بني زياد. وقرية العزله توجد فيها حتى اليوم محلة تدعى شعب الجنب** ولمّا كانت **تعز** - إقليم المعافر - في هذا العصر، هي من أهم مراكز مملكة **معين مصرن** (مملكة مصر اليمن)، فمن المنطقي أن يكون هناك ملك قبلي صغير على قطاع صغير يدعى **عرد**، وينتسب إلى **المعينيين** (**الكنعانيون** استناداً إلى وصف التوراة). وقد سمع **الملك المعينيّ** بنبأ موت الكاهن **هرون ــ هارون**، ولكنه شعر بالخوف من منظر موكب الحجاج المهيب وهو يعود بحمولاته من الطعام والحيوانات - كالثيران والأبقار - وحيث اصطحب بنو إسرائيل معهم الأطفال والنساء[1]. ولمّا كان الموكب قد انتهى من تقديس **جبل قدس**، وارتحل عنه صوب **جبل هر**؛ فهذا يعني أنه أصبح على تخوم **محافظة لحج**، وكان يعتزم العودة إلى المكان الذي قدّسه وأصبح اسمه اليوم: **شرعب السلام**، ليواصل منه في كل موسم حجّ هجرته السنوية.

ولكن مخاوف **الملك المعيني** - **الكنعاني**، ملك - مخلاف عرد - من عودة الموكب وتوغله في أراضيه، فرضت وضعاً استثنائياً على الحجاج. ليس

هذا الملك الكنعاني سوى ملك **مخلاف عرد في مديرية شرعب السلام. هناك سنجد الاسم حتى اليوم في عزلة إيفوع أسفل وقرية خباءة، حيث توجد محلة جبلية تدعى محلة نقيل عرد.**

أريد هنا التأكيد على أن الفضاء الجغرافي القديم للمواضع لا يتضمن ما نشاهده اليوم من أسماء مديريات. فمثلاً، كانت محافظتا **إب وتعز** إقليماً واحداً حتى وقت قريب، والتقسيم الإداري الحديث هو الذي جعل منهما محافظتين. وهذا ما لا قيمة له في بحثنا عن المواضع، فالمكان الذي نجده قد يقع – إدارياً – ضمن تعز، بينما الموضع الذي يليه نجده في إب. لذا، إن هذا الأمر لا يعني بأي حال من الأحوال أيّ خطأ في الترتيب الجغرافي. وهكذا قرر الموكب الارتحال عن **جبل هرّ**.

٢: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُرٍ وَنَزَلُوا فِي صَلْمُونَةَ ויסעו מהר ההר ויחנו בצלמנה

تعني **صلم: صنم** (والنون واللام تتبادلان الوظيفة كما نقول إسماعيل وإسماعين). وهذا الموضع الذي انتقل إليه الحجاج في طريق عودته، يقع في محافظة تعز، ونجده حتى اليوم هناك في **محافظة تعز، في مديرية الوازعيه**، عزلة الأحيوق، حيث توجد قرية جبلية تدعى قرية **الصنمه – الصلمة (والوزن العبري الصلمونة)**.

والآن، سنبدأ بتفكيك أسطورة الخروج من منظور جديد ومختلف ونتساءل: هل حدث خروج آخر بعد موت هرون – هارون؟ بكلام آخر: هل يدلّل وجود خروج ثانٍ على أن الأصل في الفكرة هو الحج الدينيّ المتواصل؟

هل حدث خروج آخر بعد وفاة هارون؟

يبدأ **الخروج الثاني** بعد وفاة **هرون** بوصول موكب الحجاج قادماً من عزلة **هر** الجبلية في مديرية **المواسط وتدعى عزلة بني حماد، حيث قرية بني سميع التي تضم موضع محلة الجبل**، لينزلوا في **صلم - صلمونة**. ومديرية المواسط ملاصقة لمحافظة لحج. واليوم يمكننا أن نجد **صلمونه** (البناء العبري) في المكان نفسه : محافظة تعز، مديرية الوازعيه، عزلة الأحيوق، **قرية الصنمه**. وحتى اليوم نجد في نقوش المسند، كما في نقش جام Ja٦ ٨٨-٣ كلمة (صلم) بمعنى صنم. كما وردت في صيغة (ص/ ن/ م- صنم) وفي صورة (/ ل/ م/ ن- صلمن) وكذلك في صيغة (ض/ ل/ م- ضلم) وهو ما يؤكد لنا من المنظور اللغوي قوة التبادل الوظيفي بين اللام والنون والصاد والضاد[٢].

٣: ثم ارتحلوا من صلمونة ونزلوا في فونون. **ויסעו מצלמנה ויחנו בפונן**

والترجمة الأدقّ لهذه الآية من السفر برأينا هي: وهاجروا من **صلم فأقاموا في فنون**. وليس ثمة مكان في العالم يدعى **فونون أو فونون**، سوى موضع **فنون في لحج**. هاكم اسم المكان في الجغرافيا ذاتها، حيث نجده في مديرية **المقاطرة التابعة لمحافظة لحج**، ضمن عزلة زريقة الشام وقرية الجوحره، حيث نجد اسم الموضع هناك حتى اليوم: **محلة الفنونه** (لاحظ التأنيث). هذا يعني أن الموكب غادر مديرية المواسط، واتجه صوب الوازعية وأصبح على تخوم مديرية المقاطرة بلحج. ورد اسم **فونون - فنونة** في نقش النصر في الصورة التالية: **فنن**. وقد ارتأى **د. جواد علي** في تحليله لنص النقش ضمن كتابه

الشهير (المفصل) أن **كرب ايل وتر** انتقل للحديث عن تفاصيل حربه ضد (**أهل سبل وهرم - وفنن، فذكر أن هذه المدن غاضبته** وعارضته، فأرسل عليها جيشاً هزمها، فسقط منها ثلاثة آلاف قتيل، وسقط ملوكها قتلى كذلك، وأسر منهم خمسة آلاف أسير، وغنم منهم مائة وخمسين ألف من الماشية، وفرض الجزية عليهم عقوبة لهم، ووضعهم تحت حماية السبئيين). وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من أن الكهنة اليهود المتأخرين، هم الذين نسبوا انتصارات هذا الملك إلى بني إسرائيل، واستعاروا أو نسبوا إلى بني إسرائيل كل ما قام به السبئيون (وأصبحت صورة الملك كرب إيل هي الصورة الدينية لملك يدعى داود: أي ذو- ود، بمعنى الابن).

ولتعميق هذا الفهم، أودّ أن أشير إلى واقعة ذات مغزى حدثت قبل ١٠٠٠ عام من الآن، حين هاجم المغول بغداد، فقد كانت رسائل البابا آنذاك للكنائس في كل مكان تتضمن دعوة لرعاياه إلى أن يرفعوا الدعاء للملك داود الذي جاء ليفتح بغداد. لم يكن داود المزعوم هذا سوى جنكيز خان. لقد تخيّله قساوسة الكنيسة في روما في صورة الملك داود

٤: ثم ارتحلوا من فونون ونزلوا في أبوت. ויסעו מפונן ויחנו באבת

لكن الموكب غادر **فنونة** في مديرية المقاطرة **بلحج**، واتجه صوب مديرية القبيطة المجاورة، ليستريح الحجاج في بقعة جبلية تدعى **أبوت - أبُت.** ويمكننا اليوم أن نجد الموضع باسمه هذا في المكان نفسه في **مديرية القبيطه، عزلة القبيطه،** حيث قرية نخيله. هناك سوف نجد محلة **ابُت** التي تدعى اليوم (**أبُت الذراع**). ويبدو أن الأصل في اسم **القبط** (الديانة القبطية المسيحية الشرقية) له صلة باسم **القبيطة** هذه، وهي كما سنرى في الأجزاء القادمة من

هذا الكتاب (إسرائيل المتخيّلة: المجلد الثالث جغرافية الأناجيل) كانت هي المسرح التاريخي الحقيقي لقصة **يسوع المسيح**.

٥: ثم ارتحلوا من **أبت** ونزلوا في **عيّي** **وعباريم** مقابل موآب. **ויסעו מאבת ויחנו בעיי העברים בגבול מואב**

وهكذا اتجه الموكب من **مديرية المقاطرة إلى القبيطة ونزل في ابُت ثم في عيي وعباريم في المنطقة الجبلية الفاصلة لنجد مواب. هاكم أولاً اسم العييّ**: وهاكم اسم الموضع: محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة الجبل، قرية نجد العود، محلة **العويه** (العي - لاحظ كيف ينقلب التأنيث للتذكير). هذا يعني أن الموكب تنقل بين حيفان وجبل حبشي والمواسط داخل تعز. كما نجد الاسم في صيغة أخرى ضمن محافظة لحج، مديرية القبيطه، عزلة اليوسفين، قرية إيفوع الجبل، محلة **العوين** (بإلحاق النون الكلاعية عي - عيين). وحسب الوصف، فهذا النجد هو نجد مديرية القبيطه، حيث عزلة كرش و**قرية عبر. وهذه تدعى اليوم** (عبر الجريبه). **إن المرادف العربي - اليمني الصحيح لكلمة كبول العبرية (גבול) هو (القابل)**، أي ما يواجهك وأنت سائر في المرتفعات. وهذا ما نجده في أسماء المواضع **قابل - كبول בגבול مواب**، مثلاً: **نجد المقابل** وهو موضع يتبع مديرية القبيطه ضمن عزلة اليوسفين وقرية الأشايبه. وهاكم أسماء المواضع التي أقام بها **المؤابيون في لحج: مديرية المقاطرة**، عزلة زريقة اليمن، قرية حنو، محلة **الماب**، وفي مديرية المقاطرة، عزلة الأشاهبه، قرية الكبوب، محلة **المواب**. وكذلك في مديرية المقاطرة، عزلة الأشاهبه، قرية الكبوب، محلة سفال **المواب. هذا يعني أن ما يدعى (المؤابيين) ومؤاب في التوراة هم سكان هذه المقاطعات من لحج القديمة.**

٦: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَيِّيمَ وَنَزَلُوا فِي دِيبُونَ وجَادَ.

يقصد بـ (**جاد**)[٣] كما شرحت ذلك في مؤلفات سابقة، قبيلة **خولان** التي تعرف باسم **خولان جد** (خولان الأجدود عند الإخباريين العرب). وفي النقوش اليمنية يرد اسم **خولان قبل اسم جد**. ويقصد بـ (**ديبون**): **ذيبان**، فهي الصيغة العربية من الاسم. ويمكننا أن نجد صيغة الاسم جد في كثرة من المواضع في اليمن حتى اليوم، مثل: قرية **الجد** وتسمى (**الأجد الأعلى والأجد الأسفل**) في محافظة تعز، **مديرية المواسط**، عزلة بني عباس؛ بينما يمكننا العثور على صيغة متعددة من أسماء المواضع التي تدلّ على بني **ذبيان – ديبون**[٤]، مثلاً: **محلة ذيبان في محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأثاور، قرية الهواديه. ومديريتا المواسط وحيفان متجاورتان. كما توجد حتى اليوم قرية في لحج تدعى** قرية أهل بني **ذبيان** في مديرية يافع، عزلة لبعوس. ولاحظنا من الآية السابقة أن الموكب وصل القبيطة، ودخل في أكثر من عزلة جبلية متنقلاً بين الوديان والجبال. وها هو يصل إلى **عييم – ثم ينزل في ديبون – ذيبان وجد – جاد.**

٧: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ دِيبُونَ جَادَ وَنَزَلُوا فِي عَلْمُونَ ودِبْلاَتَيِمَ

وهكذا، انتقل الموكب **إلى مديرية المواسط** في تعز ليستريح الحجاج في عزلة جبلية أخرى تدعى **علمون**، ثم شقوا طريقهم نحو **مديرية مقبنة** لينزلوا في **دبلاتيم**. وهاكم اسمي الموضعين، أولاً: **علمون**، محافظة تعز، **مديرية المواسط، عزلة الأعلوم**. ثانياً: **دبلاتيم**، محافظة تعز، **مديرية مقبنه**، عزلة القحيفه، قرية الرجحه، **محلة الدبيله. ورد اسم دبلاتيم – الدبلة في صورة بيت دبلتان. وقد ذكره نقش يمني قديم سوف يُعرَف خطأ باسم (نقش ميشع) سرقه أحد علماء الآثار، وأعاد دفنه في الأردن.**

٨: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **عَلْمُونَ ودِبْلاَتَيمَ** وَنَزَلُوا فِي **جِبَالِ عَبَارِيمَ أَمَامَ نَبُو**

ورد في آيات أخرى من سفر التثنية ٤٨:٣٢ أن **جبال عباريم تضمّ جبل نبو** يقول السفر إن الرب خاطب موسى قائلاً: اصعد إلى **جبل عباريم. هذا جبل نبو** الذي في**أرض موآب** الذي قبالة **أريحا**؟

ولو أننا سرنا مع موكب الحجاج من **مقبنة** عائدين صوب مديرية **المواسط**، فسوف نمرّ بجبال **عباريم** هذه، وننزل معهم في **نبو**؟

وضمن **مديرية الشماتين** سنجد في عزلة العزاعز قرية حجفات التي احتفظت باسم الموضع القديم: محلة **النبو. وها هنا جبال عباريم – المعبار في المكان نفسه: مديرية الشمايتين**، عزلة بني شيبه الشرق، قرية **المعبار**.

٩: ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ **جِبَالِ عَبَارِيمَ**.

١٠: نزلوا على الأردن من بيت يشيموت إلى آبل وشطّيم في عربة موآب
ויחנו על הירדן מבית הישמת עד אבל השטים בערבת מואב

وهكذا نزل الحجاج في المكان الأكثر قداسة: يشموت أو ما يعرف اليوم بمديرية الشمايتين. ثم جابوا الأرض الفاصلة مع لحج – مديرية القبيطة – فنزلوا في ابل – الإبل. وهذه نجدها حتى اليوم باسمها هذا وفي المكان نفسه: محافظة لحج، مديرية القبيطه، عزلة اليوسفين، قرية الهريشه، محلة الإبل. وها هنا شطيم – الشط: محافظة لحج، مديرية القبيطه، عزلة القبيطه، قرية المخايرة، محلة الشط.

في ختام الأسفار الجديدة، يسجل مدوّن النصّ وبشكل مكثّف، أسماء المواضع التي انتهى إليها هذا الطواف الطقوسي حول الجبال والوديان، ويلخصها بجملة واحدة، لقد بلغوا **ها** – **يردن. وهذا هو الوادي المقدّس الذي عاش في وجدان ومعتقدات وتصورات كل أتباع أديان اليمن القديمة. إنه المياه المقدّسة التي قدّستها المندائية القديمة (وفي اللغة المندائية يرسم الاسم في صورة هـ – يردن) كما قدّسته الموسوية واليهودية والمسيحية. ومياه الوادي** تصل **بيت يشموت** (في تعز – مديرية الشمايتين) ويبلغ في مسيره أعلى **ذمار.**

يبقى أن أقدّم شرحاً مكثفاً بمقاصد **التوراة من الاسم مؤاب.** إن الاسم لا ينصرف إلى مكان (موضع، جبل، وادي). والأدقّ أنه ينصرف إلى توصيف تجمعات قبلية ضخمة. يقول نص سفر التثنية ٣٤:٥ ما يأتي: فَمَاتَ هُنَاكَ **مُوسَى** عَبْدُ الرَّبِّ فِي **أَرْضِ مُوآبَ** حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. **وَدَفَنَ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ.** ونحن نعلم أن سكان هذه المنطقة هم من **قبائل همدان والأشعر والسكاسك، وهم من نسل المعافر بن يعفر بن همدان.** ولذا، فالمقصود من **أرض مؤاب،** القبائل التي أقامت في **جبل صبر ووادي الضباب ووادي الملح في تعز ولحج.** وبخصوص الاسم **يشموت، فهو الشمايتين** (الياء في أول الاسم أداة تعريف منقرضة). تعدّ مديرية **الشمّايتين،** إحدى مديريات محافظة **تعز** الكبيرة. وتعز تبعد بنحو ٤٥ كيلومتراً عن صنعاء وعاصمتها **مدينة التربة،** وتنتشر فيها مناطق أثرية وتاريخية مهمة مثل شرجب وذبحان والحضارم **وأديم.** وتعتبر من أكبر مديريات اليمن.

لكن ما يميزها عن سائر المديريات الأخرى صلتها العميقة بالتاريخ اليمني القديم، فهي تضمّ العديد من المواقع الأثرية. **ومديرية الشمايتين تقع**

جنوب مدينة تعز، وكانت عاصمة ما يطلق عليه اليوم منطقة الحجرية، **وما كان يسمى قديماً باسم المعافر**. وردت تسمية **المعافر** (عفر في التوراة) لأول مرة في المصادر السبئية **في صورة (معفرن)**، ويعود تاريخها إلى **القرن السابع قبل الميلاد، أي إلى ما قبل ٢٠٠ عام من كتابة التوراة.**

كما ورد الاسم في النقش الموسوم بنقش النصر RES.٣٩٤٥،

ثم تكرر بعد ذلك في النقوش الحميرية من القرن الثالث الميلادي. وحدود إقليم المعافر تمتد على أربع محافظات، هي: **إب وتعز ولحج والضالع.** والمديريات التي تتبع هذا القضاء هي: **خدير، الصلو، حيفان، سامع، المواسط، المعافر، المسراخ، الشمايتين**، وسكنها العديد من القبائل المعروفة، ومن أشهرها المعافرة (من تميم) ومذحج. وكنا قد قدمنا في مناسبات سابقة ما يكفي من المعطيات عن **وادي – ها – يردن**، فهو ذاته **وادي مور العملاق** الذي يشق أرض اليمن شرقاً وغرباً[٥].

هذه القائمة المثيرة التي دوّن فيها سارد السفر، قصة الهجرات الجديدة لبني إسرائيل بعد موت هارون، لا يمكن مطابقتها مع **جغرافية مصر القديمة ولا مع جغرافية جنوب بلاد الشام** فضلاً عن هذا كله، فقد فشلت أعمال الحفر والتنقيب في **سيناء** خلال العقود الماضية في تقديم أي برهان مهما كان محدوداً، يؤكد لنا أن هذا الحدث الدينيّ وقع في **سيناء مصر**. لكن أكثر ما يلفت انتباهنا في الأسفار التوراتية التي سجلت (الخروج) أنها تنشئ زمناً دينياً للحدث، يصعب تخيّل وقائعه. والزمن الديني هو الزمن المطلق الذي تصبح المسافات فيه غير قابلة للقياس، كما تصبح إمكانية التصديق إمكانية دينية تتصل بالإيمان فقط، مثلاً، عندما تقول

التوراة (سفر التثنية: الإصحَاحُ الثَّانِي: ١٤): (**الأَيَّامُ الَّتِي سِرْنَا فِيهَا مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ حَتَّى عَبَرْنَا وَادِيَ زَارَدَ، كَانَتْ ثَمَانِيَ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ**) فإن هذه المسافة تصبح مطلقة وغير قابلة للتصديق؛ إذ كيف يمكن تخيّل مثل الزمن بين مكانين؟ من المستحيل أن تتطلب أي مسافة بين القارات لا بين المدن، زمناً يصل إلى ٣٨ عاماً. مثل هذا الزمن كافٍ لقطع الكرة الأرضية، لا المسافة بين مكانين أحدهما في **تعز**؟ إن مثل هذه المسافة التي تقاس بزمن دينيّ، تعني أمراً واحداً قابلاً للتصديق، هو أن **الحج الجماعي السنويّ** استمر كتقليد صارم في عصر **موسى** لمدة ٣٨عاماً، وأن موكب الحج الجماعي ظل متواصلاً بين هذين المكانين لتقديس **جبل قدس**. وهذا يعني أن الرحلة بين **قدس وودي زرد** كانت حجاً.

وعلى العكس من هذا، سيكون بوسعنا رؤية الزمن الأرضي وتصديق وقائعه، ومنها الواقعة الآتية: أن المسافة بين **جبل حريب وجبل قدس**، تتطلب ١١ يوماً فقط هاكم ما يقوله النص، الإصحاح الأول: ٢ (**أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ حُورِيبَ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِ سِعِيرَ إِلَى قَدَسَ بَرْنِيعَ**). **وهذه مسافة** واقعية تماماً، إذ يتطلب الوصول إلى **تعز من حريب** نحو ١١ يوماً سيراً على الأقدام ما يثير الدهشة أن **وادي زرد** هذا يقع على مقربة من **قدش وبرع** (قدش برنيع). هاكم اسم الوادي: **محافظة تعز، مديرية المواسط، عزلة قدس، قرية بني منصور، محلة زريد (زرد)** ولاحظ هنا كيف أن قدس وزريد في مكان واحد، تماماً كما في التوراة.

لقد مكث حجاج بني إسرائيل نحو ٤٠ عاماً وهم يقومون سنوياً وفي أشهر الحج بزيارة هذه المواضع، وكانوا يجتازون وادي زرد نحو قدس وبرع ثم

يعودون إلى صنة، وهكذا. إنه سعي ديني على غرار ما يفعل المسلمون بين الصفا والمروة في موسم الحج.

من المهمّ للغاية أن أعيد شرح مسألة **قدس برنع (قدش برنيع)** الذي سبق لي أن سجلته في إسهامات سابقة[٦]: في البداية، أرغب في التنويه اللغوي الآتي: أن **النون** في الأسماء والأفعال **في لهجات اليمن،** استخدمت كأداة تعريف منقرضة. وتسمى النون الكلاعية نسبة إلى مخلاف الكلاع. مثلاً، يقول اليمنيون في صنعاء - صنعن، وفي عرب - عربن، وفي قحط - قحطن، وعدن - عدنن. وهي: العرب، القحط، العدن، إلخ. وهذا أمر تؤكده النقوش اليمنية. إن هذه النون تدخل أحياناً في وسط الاسم مثل **برنع - البرع**. لذا، فالمقصود من **قدس - برنع** (قدس برع) بإسقاط النون. **وجبل قدس يعرف أيضاً** بمحميته الطبيعية المسماة **البرع**. وحتى اليوم يعرف قدس بالتلازم مع اسم القرية الجميلة البرع، حيث نجد هناك حتى اليوم قرية باسم قرية **برع**. والمقصود من الجملة أن موكب الحجاج إذا ما سلك طريق **جبل سعير،** فسوف يصل إلى قدس في هذه المدة الزمنية. وهذا الطريق لا يزال سالكاً في تعز وباسم الجبل القديم في المكان نفسه، أي ما يدعى مديرية المواسط وضمن عزلة بني حماد حيث توجد قرية **سعير.**

في هذا الإطار، أرغب في الإشارة إلى عمل عالم الآثار الإسرائيلي **إسرائيل فلنكشتاين** المختصّ بالعصر البرونزي. لقد حفر علماء الآثار في موقع **أم الرشراش** ظناً منهم أن هذا الموقع هو **قدش برنيع،** ولكن أملهم خاب، لأن ما عثر عليه كان يؤكد عدم تطابق قصص التوراة مع نتائج الحفريات. إن أم **الرشراش ليست قادش برنيع** كل ما في الأمر، أن **جبل قدش - قدس**

اليمني محاط بمحميّة طبيعية وجبل شاهق يُدعى **برع**، وحتى اليوم يرقص الرعاة وسكان القرى حول الجبل ويردّدون: **يا قدس يا ذا البرع**. وكلمة ذا، وذو... إلخ هي أسماء إشارة تُستخدم كأداة تعريف: **ذا برع – البرع**. وهذه هي وظيفة النون. ها هنا **قدس وها هنا برع**.

الهوامش

(١) توجد في تعز وضمن مديرية شرعب الرونه عزلة شرقي حمير التي تضم محلة عرد، وهناك عزلة أخرى باسم شرقي عردن.

(٢) مجلة ريدان - حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة ، العدد ٨- ٢٠١٣ نقوش قتبانية جديدة: منير عربش، أحمد با طايع، خيران الزبيدي.

(٣) «جد» في كتابات قوم ثمود: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية الجزء الثالث ١٩٨٠ م الفصل السبعون أَصنام الكتابات ص ٧٣٨.

(٤) مثلاً: محافظة إب، مديرية القفر، عزلة بني مبارز، قرية سمنان، محلة جبل ذيبان. كما نجد الاسم في محافظة الحديدة، مديرية الجراحي، عزلة المعاصلة، قرية ذيبان.

(٥) انظر كتابنا: أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا، دار الجداول - بيروت ٢٠٠١.

(٦) انظر مثلاً كتابنا: أسطورة عبور الأردن.

الوصول إلى أرض الميعاد

ينطوي **الحجّ الديني الجماعي** للقاء إله الجماعة في البرية، على أمرين مركزيين في (**عقيدة الخروج**).

أولهما، تقديس أماكن ومواضع بعينها لإقامة احتفالات متواصلة ومستمرة تكريماً للإله، وتكريساً لعبادته بإقامة الطقوس والشعائر.

وثانيهما، التفتيش عن أرض استقرار (**أرض ميعاد**) تمكّن هذه الجماعة من الانتقال إلى طور الاستقرار، والتخلص نهائياً وبشكل ناجز من طور الهجرة وحياة البداوة القديمة. وهذا هو مغزى الوعد الإلهي لبني إسرائيل بالحصول على (**أرض الميعاد**). وكنا قد رأينا أنها كانت رعوية مهاجرة متنقلة من مكان لآخر، أو تعمل في رعي الأغنام عند جماعات أخرى، كما هو الحال في مصريم. وفي هذا المنحى من التلازم بين **الحجّ والبحث**

عن أرض الميعاد، يصبح مفهوماً تماماً أن **الخروج** طقس دينيّ وليس حدثاً تاريخياً. وما يؤكد ذلك، أن بعض النصوص، كما رأينا، تتحدث عن نحو أربعين عاماً أمضتها الجماعة على طريق **جبل قدس**. وبالطبع، يستحيل تخيّل أن المسافة بين سيناء مصر وفلسطين تتطلب أربعين عاماً

في نهاية طقس الحج الطويل هذا، وقف **موسى** ليقول **لبني إسرائيل**، إن الرّب أراه الأرض الموعودة وتخومها، ولكن الرّب منعه من دخولها. فماذا يعني هذا؟ لماذا رأى موسى - بعد عذاب ومعاناة الخروج في البرية - الأرض الموعودة، ولكن من دون أن يتمكن من دخولها؟ ولماذا منعه يهوه من الاستيلاء عليها؟ لو أننا وضعنا (الخروج) في إطار التاريخ اليمني، ففي هذا الوقت ١٥٠٠- ١٣٠٠ ق.م سنلاحظ، أن **معين** - **مصرن** كانت تفرض نفوذها على سائر **أرض اليمن القديم من الجوف ثم امتداداً في عقود تالية حتى الساحل**.

ولأن **المعينيين** (الكنعانيين) سكان مصر الجوف اليمني، كانوا يهيمنون على القبائل اليمنية القوية، مثل **سبأ في الشمال** (والبطون المتفرعة منها) **والحميريين في الجنوب** - وهؤلاء كانوا يمثلون القوى المنافسة الأشد خطراً على المعينيين سكان الجوف - فقد شعر **ملوكهم** من **آل فرعه**، بمخاطر ظهور عقيدة دينية جديدة، تستبدل بالإله المركزي **(الإله ودّ)** إلهاً بركانياً غضوباً، هو **الإله يهوه**. وبالفعل، يبدو أن أحد أهم مظاهر هذا الحجّ، أنه يعطي قوة زخم حقيقية للصراع بين **الإله الأب** - **الابن (ودّ)** ضد **الإله الجديد يهوه**. وبذلك، يكون الحلم **بأرض الميعاد**، حلماً **باستعادة القبائل السبئية والحميرية لأراضيها التي سلبها المعينيون**، أي الأراضي

الخصبة في الشمال والجنوب. كما أن الصراع بين **الجوف وبين تحالف قبائل الشمال والجنوب**، ينطوي على أبعاد رمزية وروحية وسياسية، ومنها أن المعينيين، وهم جماعة دينية وثنية، تعرف لهجتهم التي كتبوا بها نصوصهم الدينية بـ (الكنعانية) ينحدرون من أصول ثمودية (حضرموت). وبهذا المعنى، يصبح الصراع في بعض أوجهه، صراعاً بين **الشمال وحضرموت**. وفي هذا النسق التاريخي – الدينيّ، يصبح الخروج الإسرائيلي تعبيراً رمزياً عن أول تمرّد تقوده **قبائل الشمال ضد سلطة المعينيين**. لقد أعطى الكهنة – في وقت متأخر جداً – بعُداً جديداً للصراع، وبحيث أصبح دينيّاً بالكامل. وهكذا تبدو نصوص التوراة المتأخرة، وكأنها نص دينيّ واحد، يروي قصة **صراع بني إسرائيل ضد الكنعانيين**. لقد تلاشى التاريخ الحقيقي للصراع داخل نصوص التوراة المتأخرة، أي الأسفار التي كتبها الكهنة – الأنبياء، وغاب عنه أبطاله: **السبئيون والكنعانيون** (المعينيون) وحل محله صراع ديني تقوده قبيلة واحدة (**بنو إسرائيل**) ضد أعداء جبابرة، وجرى في سياق هذا التلفيق تصوير سقوط المدن على أيدي **الملوك المكاربة**، مثل **كرب إيل وتر بن ذمر**، واندحار **المعينيين – الكنعانيين** أمام زحفه، وكأنه جرى بين بني إسرائيل وأعدائهم الكنعانيين. بكلام ثانٍ، أصبح حلم **استرداد السبئيين لأراضيهم من أيدي المعينيين** ملوك الجوف، حلماً إسرائيلياً خاصاً أضفى عليه الكهنة اليهود – في وقت متأخر – كل ما يلزم من مسحة دينية طاغية. والمدهش، أن شخصية داود الأسطورية وفتحه للمدن، هي إعادة إنتاج لقصة فتوحات **كرب إيل وتر بن ذمر** (ونقش صرواح شاهد على ذلك). كما أصبح حلم السبئيين باسترداد أرضهم، هو ذاته الحلم بـ **(أرض الميعاد)**.

إن سلوك القبائل حيال أحداث التاريخ، يمتاز على الدوام بالتماثل، فما من قبيلة إلا ونسبت بطولات أمم وشعوب أخرى إلى تاريخها، وبحيث يصبح أبطال الأمم الأخرى أبطالاً قبليين خاصين بقبيلة أخرى. لقد كان على بني إسرائيل أن ينتظروا نحو ٨٠٠ عام (بعد الخروج) ليظهر **المكاربة** وليطيحوا سلطة **المعينيين**، ومن ثم ليشرعوا في تمهيد الطريق أمام ظهور أول مخلاف – مملكة دينية صغيرة (**مملكة إسرائيل**) ضمن **مملكة سبأ الموحّدة.**

وسوف نبرهن على كل ذلك من خلال استعراض وتحليل النصوص التي تحدثت عن (تخوم أرض الميعاد).

- ١ -

(سفر العدد Numbers ٣٤)

وكلم الرب موسى قائلاً **וידבר יהוה אל משה לאמר**

أوصِ بني إسرائيل، وقل لهم إنكم داخلون إلى **أرض كنعان**. هذه هي الأرض التي ستؤول لكم بوديانها. **أرض كنعان** بتخومها.

צו את בני ישראל ואמרת אלהם כי אתם באים אל הארץ כנען זאת הארץ אשר תפל לכם בנחלה ארץ כנען לגבלתיה

تكون لكم أمام **نجب** من **برية صن** على **جانب أدوم**. ويكون لكم **نجب** من **طرف يام الملح وقدمة**

והיה לכם פאת נגב ממדבר צן על ידי אדום והיה לכם גבול נגב מקצה ים המלח קדמה

وبحسب وصف الآية التوراتية، فهذه هي **أرض كنعان**، أي **أرض القبائل المعينيّة التي أقامت مملكة معين مصرن** في الجوف اليمني، وامتدّ نفوذها حتى ساحل حجّة (ميناء ميدي) والحديدة، وقادت تجارة العالم القديم. لقد طلب يهوه الرّب من موسى، أن يكلم بني إسرائيل عن وعده لهم، بأنها ستكون أرض ميعادهم. واستناداً إلى وقائع التاريخ اليمني، لم تكن هناك أي قوة قبلية قادرة على خوض الصراع ضد ممالك المعينيين – وبشكل أخص ضد **معين مصرن** – في هذا الوقت من التاريخ المكتوب، أي نحو العام ١٣٠٠ ق.م، سوى القبائل السبئية في الشمال اليمني. وهذه سوف

تتمكن من تحطيم سلطتهم وانتزاع الأراضي الخصبة منهم ابتداءً من العام ٨٥٠ ق.م. وبرأينا، فهذا هو مغزى قول موسى إن الرب أراه الأرض الموعودة، ولكنه لن يدخلها لقد كانت في هذا العصر في قبضة المعينين، وكان من المستحيل انتزاعها.

لقد وجب على السبئيين أن ينتظروا وقتاً طويلاً لانتزاعها. ومع ظهور مملكة سبأ الموحّدة ظهرت تقاليد **الملك - الكاهن**، أي **المكرب** (كروبيم في التوراة). وهذا هو العصر الحقيقي - في المسرح الحقيقي - لظهور ما يدعى **الملكية في إسرائيل**. لقد حصلوا - مثلهم مثل كل القبائل - على حق امتلاك أرض خاصة بهم وإقامة مخلاف - مملكة دينية صغيرة ضمن مملكة اتحادية كبرى هي مملكة سبأ.

وكما (اخترع) بنو إسرائيل **شخصية موسى** لأجل رواية شيقة ودينية مقدّسة عن الخروج، فقد (اخترعوا) **ملوكاً أسطوريين**، ونسبوا إليهم إقامة **وتأسيس مملكة إسرائيل الدينية**، وذلك لإضفاء قداسة خاصة على مخلافهم. وهكذا ظهر عشرات الملوك من بني إسرائيل لا وجود لهم في التاريخ إن تخيّل **أرض كنعان** كلها، **أي أرض ممالك المعينيين في الجوف حتى ساحل الحديدة**، وقد وهبها يهوه لبني إسرائيل، ليس له أي سند في التاريخ المكتوب، وليس ثمة أي نقش أو سجل تاريخي موثوق يؤيد هذه المزاعم، بينما تؤكد قوائم ونقوش انتصارات **المكاربة السبئيين في أرض** المعينيين وسقوط المدن، واحدة تلو أخرى، أن بني إسرائيل نسبوا كل هذه الأحداث إلى تاريخ قبيلتهم ومع ذلك كله، سنعيد التأكيد مرة أخرى أن بني إسرائيل أنشأوا - أسّسوا مملكة دينية صغيرة - إلى جانب ممالك صغيرة

أخرى أقامتها القبائل المتحالفة مع السبئيين - ضمن مملكة اتحادية كبرى هي **مملكة سبأ الموحّدة**.

لدينا في هذه الآيات من السفر التوراتي، مواضع وأماكن محدّدة بشكل دقيق جغرافياً. وما يدعونا إلى اعتبارها أماكن موصوفة بلغة جغرافية دقيقة، هو أنها مشفوعة بتوصيف الاتجاهات. إن ما يدعى **(أرض كنعان)** يقصد به حصراً الأراضي التي سيطرت عليها مملكة **معين الجوف (معين ــ مصرن)** في الشمال. وهذه الأراضي تمتد إلى السواحل في **حجة والحديدة**. إن إطلاق صفة **الكنعانيين على الفلسطينيين** في المؤلفات التاريخية السائدة، هو من تلفيق التيار التوراتي في علم الآثار، وقد أشاع هذا التوصيف أوهاماً لا تزال رائجة ولا أصل لها، فما من **فلسطيني** إلا ويفتخر بأنه **(كنعاني)**، **وهذا وهم ما بعده وهم. ولذلك أدعو إلى إسقاط هذا المصطلح الخاطئ من مناهج التعليم.**

- ٢ -

نظرة عامة:

طريق الحج المقدس من صنة إلى قدس

يقع **جبل صنة** على الطريق المؤدي إلى **جبل قدس** من مديرية **المعافر في تعز**. وهذه الطريق الجبلية تؤدي إلى مديرية **الشمايتين (يشموت)** حيث توجد **عزلة أديم**. أما **النجب**، فنجدها في **مديرية جبل حبشي**، وبالاسم نفسه: **النجب**. وهذه المديريات الثلاث، متجاورة. هذا يعني أن حدود أرض كنعان تبدأ من منطقة الجوف لتشمل **أقصى شمال تعز (مديريات الشمايتين) مارة بمديرية المواسط من موضع يدعى قدمه – القدم**[1]. ونحن نجده اليوم بالاسم نفسه، ثم **تصعد شمالاً عند جبل حبشي. والقدم** حصن عظيم من حصون اليمنيين في مدينة **السواء – سوء في التوراة**. ولعل رواية التوراة عن صراع الآشوريين مع المصريين، قصد به كما بيّنتُ في مؤلفاتي السابقة، صراع الأشوريين مع قبائل معين – مصرن. وما يؤكد ذلك أن الأشوريين ألقوا القبض على ملك مصري يدعى سو أو ملك سوا. وليس في تاريخ مصر البلد العربي، أي واقعة تقول إن الآشوريين ألقوا القبض على ملك من ملوك مصر، أو أن هناك ملكاً يدعى ملك سوا، بينما نجده هنا في مصر (مصرن) في منطقة السواء؟

يعلو الحصن **بقايا آثار مدينة كبيرة** تحيط بالحصن من الجهات الشمالية والجنوبية. كما يمكن حتى اليوم رؤية الخرائب التي تدلّ على أن المكان من بقايا مدينة حصينة. وفي الآونة الأخيرة عثر بعض الفضوليين، أثناء

عمليات حفر عشوائية على لقي أثرية مهمة للغاية لكنها اختفت ويا للأسف، وبعضها يتعلق بهذه الحقبة من التاريخ ولا تزال قائمة هناك بعض معالم هذا الحصن، مثل بقايا أسواره ومبانيه. وفي أعلى الحصن آثار لمعبد قديم، وفي أسفله - من الناحية الجنوبية - لا تزال هناك بقايا آثار لمعبد آخر. وفي هذا الفضاء الجغرافي سنجد مياه **ملح - ملح**(٢) **في مديرية مقبنه، عزلة بني صلاح قرية السليف محلة وادي الملح.**

وبذلك، يكون واضحاً لدينا أن المقصود من النص هو الآتي: أن حدود الأرض الموعودة، وهي أرض المعينيين، تمتد على مساحة تغطي اليوم أهم مديريات **تعز**، وهي **الشمايتين، المواسط، جبل حبشي، شرعب السلام، المعافر.**

- ٣ -

يقول السفر التوراتي (النص نفسه):

ويدور لكم القابل من **جنب** و**عقبة – معلاة – عقربيم** ويعبر إلى **صنه** وتكون مخارجه من **نجب إلى قدس برنيع ويخرج إلى حصر** وءدار ويعبر **عصمون**.

ננסב לכם הגבול מנגב למעלה עקרבים ועבר צנה והיה תו־צאתיו מנגב לקדש ברנע ויצא חצר אדר ועבר עצמנה

حسب هذا الوصف، سوف تمتد أرض الميعاد من **نجب في جبل حبشي** (مديرية جبل حبشي في تعز) حيث توجد **نجب** ضمن عزلة الشراجه وفي قرية الاشروح. ثم معلاة **عقربيم – عقارب**، وهي اليوم قرية تدعى حبيل **العقارب** في عزلة كرش في **مديرية القبيطة** التابعة اليوم **للحج**. ولحج ملاصقة حدودياً لمديرية **المواسط**. وأخيراً تتجه نحو جبل **الصنه – صنه في المعافر**. ومن **نجب يتجه القابل نحو قدس – برنع (قدس ذا البرع)** في مديرية **المواسط في تعز**.

سنبدأ بقائمة المواضع في نص الآية ٢ وبحسب تسلسلها:

١ : (**ويخرج إلى حصر**وءدار ويعبر **عصمون**.

ננסב לכם הגבול מנגב למעלה עקרבים ועבר צנה והיה תו־צאתיו מנגב לקדש ברנע ויצא חצר אדר ועבר עצמנה)

يقع حصر– حضر في محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة بني شبيب، قرية الأثلة، ويدعى اليوم محلة حضار – حضاره. ومديرية حبيش مجاورة لمديرية

العُدين. وفيها سوف نجد وادي ءدار – وادي الدُرَّ، أحد أهم أودية بلاد العُدَيْن المشهورة في إب، وقد ورد ذكره في العديد من المصادر التاريخية، وهو يمر جنوب مدينة العُدَيْن ويعتبر من أجمل الأودية. وفي هذا المكان سوف **نجد عصمون**: محافظة إب، مديرية بعدان، عزلة دلال، قرية **عصيمه. هذا يعني أن حدود الأرض الموعودة تمتد من جبل حبشي في تعز وتصل تخوم لحج ثم تعود صوب صنه في تعز لتصعد باتجاه إب (مديرية العدين) حيث حضر وءدار – وادي الدر.**

كما يوجد موضع في تعز يحمل الاسم نفسه ءدار – الذاري ضمن **مديرية شرعب السلام وفي عزلة القفاعه حيث قرية السقادي. هناك سنجد محلة الذاري**

٢: ثم يستدير القابل من **عصمون** إلى **وادي مصر** وتكون مخارجه عند البحر.

ונסב הגבול מעצמון נחלה מצרים והיו תוצאתיו הימה

وقابلكم يكون مياه الجدول – جُدل – وهو القابل. هذا يكون لكم قابلكم

וגבול ים והיה לכם הים הגדול וגבול זה יהיה לכם גבול ים

وهذا يكون لكم **الجدول – جُدل – شمالاً** من **مياه الجدول – جُدل** – تخطون لكم إلى **جبل الجبل.**

וזה יהיה לכם גבול צפון מן הים הגדל תתאו לכם הר ההר

ومن **جبل الجبل** تخطون إلى مدخل حمة وتكون مخارج القابل إلى **صدد.**

מהר ההר תתאו לבא חמת והיו תוצאת הגבל צדדה

يقصد **بوادي مصر נחל מצרים وادي السحول**، أخصب وديان إب وأكثرها شهرة وجمالاً. **ومياه السحول** تختلط بمياه مجموعة وديان دائمة الجريان تأتي من شمال مدينة إب فتمر بوادي السحول، وتنضم إليه مياه شرق جبل حبيش وشماله، وغرب جبل بَعْدان وشماله، ومياه جبل المنار، والمخادر، وغرب بلاد يَرِيْم وشيعان والصنُّع ورِحاب والأودية النازلة من سُمارة، وتنضم إليه - أيضاً - مياه جنوب عُتمة وشرق جبال وصابين وجنوب وصاب السافل وشمال **جب لرأس** فتسقي أراضي زبيد، ثم تصب في **البحر الأحمر** جنوب الفازة - غرب مدينة زبيد. أي تماماً كما يقول النص التوراتي: وتكون مخارجه عند البحر ها هنا وصف توراتي غاية في الدقة، فها هي **مياه وادي مصر (وادي السحول)** تصبّ في البحر الأحمر. ولمّا كان النص يقول حرفياً (وهذا يكون لكم **الجدول - الجُدل شمالاً**) فهذا يعني أن المقصود به موضع بعينه هو اليوم موضع **الجدل (ذراع الجدل)** في **محافظة تعز**، ضمن مديرية **جبل حبشي** وفي نطاق قرية نجد العود، حيث نجد هناك عزلة تدعى **عزلة الجبل (هر - ها - هر: הר ההר)** أي **جبل الجبل**، وليس جبل هور كما في الترجمة العربية الخاطئة. وحسب هذا الوصف، سوف تمتد **أرض المملكة من مديرية حبشي وتصعد من جديد نحو إب**، لتشمل مواضع جديدة وتصبح ضمن أرض الميعاد، وليس ضمن حدود مملكة إسرائيل، فهناك فارق هائل بين الحلم والواقع. إن فهماً أعمق لهذه الفكرة من شأنه أن يضع الفواصل الضرورية بين تخيّل الكهنة لأرض الميعاد وإنشاء (مملكة دينية صغيرة لا تتجاوز ١ كيلومتر مربع).

ولذلك، يجب أن نفصل بين محورين داخل النص التوراتي: أرض الميعاد، وحدود (المملكة الدينية: مخلاف بني إسرائيل). إن الحلم بأرض الميعاد في عصر موسى هو حلم سبئي، أي حلم تحالف قبائل الشمال والجنوب، بينما حلم قيام (مملكة دينية صغيرة) هو حلم بني إسرائيل الذين كانوا ضمن تحالف القبائل.

ويقول النص بعد ذلك حرفياً: (ومن **جبل الجبل** تخطّون إلى مدخل **حمة** وتكون مخارج القابل إلى صدد. **מהר ההר תתאו לבא חמת והיו תוצאת הגבל צדדה** . **وحمة** هذه هي حمّة في محافظة **تعز** ضمن مديرية **المسراخ** وداخل عزلة الأقروض. **وهما حمّتان، حمة العليا وحمة** السفلى. **والآن**: إذا كانت مخارج القابل عند **صدد**، فهذا يعني أنه يواصل تمدّده الجغرافي حتى مديرية **جبل حبشي** في الجنوب الشرقي. أما **صدد**: سدد، فسوف نجدها في المكان نفسه: محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة المداحج، قرية الكفيف، **محلةالسداد**. ويبدو أن الصيغة الأصلية ظلت صامدة، لتظهر في مكان آخر حيث نجدها في محافظة ريمه، مديرية الجبين، عزلة بني الضبيبي، قرية بني عبد الواسع، وبالاسم نفسه: محلة **صدد**. وهذا يؤكد لنا مرة أخرى، أن محرري النص يكتبون كما ينطقون، فبعض الكهنة اليهود وطبقاً لعادات النطق، يرسمون الحرف صاد في صورة سين كما في الاسم التوراتي بصاق وبساق.

- ٤ -

ثم يخرج القابل إلى **زفرنه** وتكون مخارجه عند **حصر وعنان**. هذا يكون لكم قابل الشمال

ויצא הגבל זפרנה והיו תוצאתיו חצר עינן זה יהיה לכם גבול צפון

وتخطون لكم تخما من **قدمة وحصر وعنان إلى شفمه**.

והתאויתם לכם לגבול קדמה מחצר עינן שפמה

ويأتي القابل من **شفمه إلى ربلة ومن قدم إلى عين**. ثم ينحدر القابل ويرتفع على **كتاف** عند **كنّرت** وقدمه

וירד הגבל משפם הרבלה מקדם לעין וירד הגבול ומחה על כתף ים כנרת קדמה

ثم ينحدر القابل إلى **الأردن** وتكون مخارجه عند وادي **الملح**. هذه تكون لكم الأرض بقابلها إلى **ضباب**

וירד הגבול הירדנה והיו תוצאתיו ים המלח זאת תהיה לכם הארץ לגבלתיה סביב

هذه هي – بصورة موجزة ومكثفة وأمينة تماماً للنصّ الأصلي – حدود ما يدعى **أرض الميعاد** التي وصلها **موسى**. والمقطع الأخير أعلاه، يحدد على أكمل وجه، **حجم الرقعة الجغرافية التي** يمكن **لبني إسرائيل أن يقيموا فيها**،

فالقابل الجبلي ينحدر من محافظة تعز، مديرية **جبل حبشي**، عزلة بلاد الوافي، قرية حجرمين، **محلة زفـار** (لاحظ تأنيث المذكر: زفار - زفرنة، ولاحظ كيف دخلت النون الكلاعية كما في برنيع - برع). ثم يبدأ القابل الجبلي من موضع يدعى **قدمه - قدم**، وهو حصن جبلي في **مديرية صبر الموادم**، ومنه يتجه نحو **عين**، وهي ما يدعى اليوم **عين** سباء في **مديرية حبشي** ضمن عزلة تسمى عزلة الحقل. ومن **حضر وعنان** ليصل **شفمه - شفم**، أي من تخوم **محافظة إب**. **وشفم** هذه تدعى اليوم **شافه - شفم** (في النطق الحميري التقليدي بإضافة الميم) وهي قرية في عزلة جبلية في **مديرية ذي السفال التابعة لمحافظة إب**. وهذه المديرية هي **الحدود الجنوبية للأرض الموعودة**.

ثم ينحدر القابل الجبلي ويتجه نحو **موضع كتاف** في **محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة المشاولة، قرية المنبهه، محلة الكتف**. ثم يتجه القابل في اتجاه **وادي مور**. إن ما يقوله النص واضح كل الوضوح: ثم ينحدر القابل إلى **الأردن** وتكون مخارجه عند وادي **الملح**. هذه تكون لكم الأرض بقابلها إلى ضباب **וירד הגבול הירדנה והיו תוצאתיו ים המלח זאת תהיה לכם הארץ לגבלתיה סביב**

وهنا نجد وادي الملح باسمه هذا في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام،عزلة إيفوع أعلى، قرية دي مالح. وعلى مقربة منه في مديرية صبر الموادم سنجد ضباب. ها هنا اسم المكان: محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة الضباب.

هذه هي (**أرض الميعاد**) الموعودة التي أراها الله **لموسى**. لم يكن **موسى في عصر الخروج** قادراً على تحقيق الوعد، وكان عليه أن يكتفي بأن يعد بني إسرائيل، بحصولهم على أرض استقرار (وهذا معنى الميعاد - الوعد).

ولسوف ينتظر الإسرائيليون وقتاً طويلاً قبل أن يتمكن **المكاربة** من طرد **المعينيين**، وليصبح بإمكان الكهنة الشروع في (تعظيم) الأرض التي امتلكوها بوصف ذلك تحقيقاً لوعد الرّب. وهكذا، فقد أقاموا – في نهاية المطاف – مملكتهم الدينية الصغيرة، وعاشوا سعداء بخيالهم أنها مملكة عظيمة تمتد على مساحة جغرافية مُتخيّلة. لكن هذا التخيّل، كان يستمد عناصره من واقع حقيقي، فقد نجح **المكاربة** (الكروبيم) السبئيون في انتزاع أراضي شمال اليمن من أيدي معينيّي الجوف، وسمحوا لكل حلفائهم من القبائل، بأن يقيموا (مخاليفهم – ممالكهم الصغيرة) ضمن مملكة اتحادية سوف يعرفها التاريخ باسم **مملكة سبأ**. هكذا، ظهرت مخاليف – ممالك اليمن. وهذا وحده، ما يفسر لنا السرّ وراء الصراع الذي خاضه بنو إسرائيل ضد عشرات الممالك المجاورة بحسب روايات التوراة.

في الواقع، لا توجد في فلسطين القديمة، أي جنوب الشام والتي كانت قطاعاً صغيراً ضمن الإمبراطورية السورية (ما يدعى خطأً الإمبراطورية الأشورية) ممالك بهذا العدد، لكننا سنجدها هناك في اليمن. إنها المخاليف – الممالك. ولأن ملوك سبأ المكاربة – الكروبيم – الذين تعاقبوا على حكم هذه المملكة الجديدة، هم الذين دحروا المعينيين (الكنعانيين – المصريين)، فقد تخيّل بنو إسرائيل، كل انتصار سبئي بوصفه انتصاراً لهم، وتخيّلوا كل ملك سبئي بوصفه ملك إسرائيل. وهكذا، أنشأ الكهنة تاريخاً لمملكة كبرى هي صورة دينية – رمزية لمملكتهم الصغيرة، وبالطبع، فقد أعطوا اسماً دينياً لكل ملك سبئي، وبحيث يبدو اسماً إسرائيلياً وسأعطي المثال التالي لتأكيد الفكرة الآنفة، وسأعود لمعالجتها بشكل تفصيلي في المؤلفات القادمة.

إن أكثر ما يلفت انتباهنا في التطابق بين الأحداث التي تسردها التوراة، والأحداث التي يتضمنها التاريخ السبئي، إنما هو مسألة الفصل بين وظيفة الملك ووظيفة الكاهن. مثلاً، إن سفر الملوك: **ملوك ٢:١٦ : ١٥** الذي يتحدث بالتفصيل عن هذا التحول التاريخي في **مخلاف اليهودية في الجنوب** (مملكة يهوذا) يسجل الواقعة الآتية. لقد طلب **الملك ءحاز** من الكاهن الأعظم **أوريا** أن يتولى بنفسه وظيفته الدينية. وبالفعل، جرت في **أورشليم** أولى مراسم الفصل بين **وظيفتي الملك والكاهن**. وأمر الملك **آحاز**، **أوريا الكاهن** قائلاً: على المذبح العظيم أوقد **محرقة الصباح، وتقدمة المساء ومحرقة الملك**، وتقدمته مع محرقة كل شعب الأرض، وتقدمتهم وسكائبهم ورشّ عليه كل دم محرقة وكل دم ذبيحة. ومذبح النحاس يكون للبقر

ויצוהו המלך אחז את אוריה הכהן לאמר על המזבח הגדול הקטר את עלת הבקר ואת מנחת הערב ואת עלת המלך ואת מנחתו ואת עלת כל עם הארץ ומנחתם ונסכיהם וכל דם עלה וכל דם זבח עליו תזרק ומזבח הנחשת יהיה לי לבקר

وعمل أوريا الكاهن حسب كل ما أمر به الملك آحاز. **ויעש אוריה הכהן ככל אשר צוה המלך אחז**

تتوافق واقعة تنازل **الملك ءحاز** (٧٣٥ -٧١٦ق.م) **التي تسجلها التوراة هنا وإلى حد بعيد مع تاريخ تنازل الملك السبئي كرب إيل وتر بن ذمر علي** آخر المكربين وأول ملوك سبأ عن لقب المكرب (أي الكاهن) واعتماده لقب الملك وهذا التاريخ هو ذاته التاريخ الذي ظهر فيه المكرب علناً كملك بعد أن تخلى عن الكهانة، فماذا يعني ذلك؟ لقد نسب الكهنة اليهود هذه الواقعة إلى تاريخ مملكتهم الدينية، **وتخيلوا كرب إيل وتر في هيئة ملك يهودي يدعى أحاز.**

الهوامش

(١) وفي محافظة ذمار وضمن مديرية وصاب العالي نجد عزلة قدمه. كما توجد عزلة أخرى في محافظة حجه مديرية شـــرس تعرف باسم عزلة بيت قدم. محافظة المحويت مديرية الطويلة عزلة بني سري قرية القدم محلة ريده القدم. وكذلك في المحافظات الآتية: محافظة المحويت مديرية ملحان عزلة بدح قرية القدم محلة المغربه. محافظة إب مديرية الشعر، عزلة الأملؤك قرية المصواله محلة عدم القدم. محافظة حجه مديرية شـــرس عزلة بيت قدم.

(٢) في محافظة المحويت وضمن مديرية بني سعد توجد عزلة قيهمه وقرية جبل عسل التي تضم محلة وادي ملح. أما في محافظة ذمار وضمن مديرية وصاب السافل فسنجد عزلة ربع المغارم وقرية اللكيمه حيث توجد محلة الديم وادي الملح.

الفصل السادس

هل دفن موسى في الجواء؟

سوف أواصل تحليل النصوص التوراتية لكشف المزيد من الخفايا. ومن بين أكثر هذه الخفايا والألغاز إثارة للحيرة، مسألة **قبر موسى** إن نصّ **سفر التثنية** يعطينا الإحداثيات الصحيحة للمكان الذي مات فيه، وللمواضع التي نستدلّ منها على وجود القبر. وهذه الوقائع والمعطيات تجاهلها علماء الآثار والمختصّون بالتوراة، بسبب جهلهم بالبيئة التي جاءت منها التوراة.

واكرر هنا، أن **موسى، ليس شخصية تاريخية قط**، وأن قصة وفاته هي قصة رمزية عن موت المخلص، مثلها مثل أسطورة **إيزيروس المصري أو تموز العراقي أو المسيح**. لكن هذا لا يمنعنا من المضي قدماً في دراسة هذه الإحداثيات لأغراض البحث العلمي. لقد سجل سفر التثنية ٣٢:٤٨ المشهد الآتي:

وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً:

וידבר יהוה אל משה בעצם היום הזה לאמר

اصعد إلى جبل عباريم. وهذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً

עלה אל הר העברים הזה הר נבו אשר בארץ מואב אשר על פני ירחו וראה את ארץ כנען אשר אני נתן לבני ישראל לאחזה

وُمتْ في الجبل الذي تصعد إليه وانضمّ إلى قومك، كما مات هرون أخوك في جبل هور – هُر وضُمّ إلى قومه

ומת בהר אשר אתה עלה שמה והאסף אל עמיך כאשר מת אהרן אחיך בהר ההר ויאסף אל עמיו

على ما فعلتما في وسط بني إسرائيل، عند ماء مريبة قدس في برية صن، إذ لم تقدّساني في وسط بني إسرائيل.

על אשר מעלתם בי בתוך בני ישראל במי מריבת קדש מדבר צן על אשר לא קדשתם אותי בתוך בני ישראל

فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل

כי מנגד תראה את הארץ ושמה לא תבוא אל הארץ אשר אני נתן לבני ישראל

ما يقوله هذا النصّ هو الآتي: أن **الرّب عاقب موسى** وحرمه الوصول إلى أرض الميعاد (**أرض كنعان**). ثم أمره أن يلقى حتفه بنفسه فوق **جبل عباريم** (جبل معبر). أي أن يموت حتف أنفه. وهذا واضح كل الوضوح من الآية:

ומת בהר אשר אתה עלה שמה והאסף אל עמיך כאשר מת אהרן אחיך בהר ההר ויאסף אל עמיו

وُمتْ في الجبل الذي تصعد إليه وانضمّ إلى قومك، كما مات **هرون أخوك في جبل هور** وضُمّ إلى قومه.

في هذا النص لدينا اسم المكان **مريبة** – مريب الذي ارتكب فيه موسى الخطيئة ولم يقدّس الرّب، وهي **مياه على طريق جبل قدس**، وعلى طريق **جبل صن – صنه (צן)**. فأين نجد هذه المواضع؟ بكل يقين لن نجدها في سيناء المصرية، بل في **تعز – مديرية المعافر حيث عزلة الصنـــة** وفي **مديرية المواسط حيث عزلة قدس**. ها هنا جبل صنه و**جبل قدس**. أما المياه التي تقع على طريقهما، وتدعى **مياه مريبة – مريب**، فليست سوى عزلة **ميراب في محافظة تعز، ضمن مديرية مقبنه**[1]، **أي تماماً كما في الوصف التوراتي فهي على طريق قدس**. والجبال هي القسم الغالب على سطح **ميراب**، وتمتد بامتداد طوله من الشمال إلى الجنوب ومعظم **قرى ميراب** منتشرة على سفوح وقمم الجبال، وأعلى قمة فيها هي **قمة جبل الشيخ** الذي يبلغ ارتفاعه (١٦٠٠) متر فوق سطح البحر. ويعتبر **جبل ميراب** من المناطق البركانية، إلا أن التسلسل الصخري له يحتوي على صخور يسمّيها علماء الجيولوجيا بـ (صخور القاعدة) وهي عبارة عن صخور رسوبية تتداخل معها صخور بركانية.

هذا هو المسرح الجغرافي للنص. وبالطبع، وحين ينظر المرء من **جبال عبريم – العبار**، فسوف يشاهد **أرض المعينين – الكنعانيين** التي تمتد فوق مساحة شاسعة من أرض اليمن. هاكم اسم الموضع. يقع **جبل عبريم – العبار** في **محافظة تعز**، **مديرية الشمايتين**، عزلة بني شيبه الشرق، وفي قرية تعرف اليوم باسم **قرية المعبار**. وها هنا إلى جوارها في مديرية ماوية سنجد **جبل نبو** هاكم اسم الجبل: **محافظة تعز، مديرية ماويه، عزلة إصرار، قرية القضاة، محلة النبو.**

لقد قلنا في هذا الكتاب إن **الشمايتين** كانت أكثر البقاع قداسة في النص التوراتي، فهي تفضي مباشرة **إلى جبل قدس**. ولذلك، صوّر الكهنة – بعد موت موسى الأسطوري – قصة موته، وكأنها تمّت بأمر ربّاني، وهو منْ اختار له طريقة موته، أن يصعد إلى قمة الجبل ويموت هناك.

أرض الميعاد التي رآها موسى

والآن، دعونا نحلّل النص الآتي من **سفر التثنية** ٣٤:١:٦:١

وصعد موسى من **عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس والفسجة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان**

ויעל משה מערבת מואב אל הר נבו ראש הפסגה אשר על פני ירחו ויראהו יהוה את כל הארץ את הגלעד עד דן

وجميع نفتالي وأرض افرايم ومنسّى وجميع أرض يهوذا إلى غرب البحر

ואת כל נפתלי ואת ארץ אפרים ומנשה ואת כל ארץ יהודה עד הים האחרון

وجنب وهككر وبقعة وأريحا وتمريم (مدن النخيل) إلى صعر.

ואת הנגב ואת הככר בקעת ירחו עיר התמרים עד צער

وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر.

ויאמר יהוה אליו זאת הארץ אשר נשבעתי לאברהם ליצחק וליעקב לאמר לזרעך אתננה הראיתיך בעיניך ושמה לא תעבר:

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب.

וימת שם משה עבד יהוה בארץ מואב על פי יהוה

ودفنه في الجؤة في أرض موآب مقابل بيت فعر، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم

ויקבר אתו בגי בארץ מואב מול בית פעור ולא ידע איש את קברתו עד היום הזה

لدينا في هذا النصّ المواضع الآتية:

دان، رأس الفسجة، جنب، بقعة، صعر، بيت فعور – فعر، هككر. أريحا، الجؤة.

تعتبر قبيلة دان – أدان فرعاً قبلياً من يافع، يعرف باسم (أذان). وهذه القبيلة اليمنية القوية أقامت تاريخياً في ما يعرف بمساكن حمير، قبل نزوحها إلى موطنها الجديد قبل القرن الأول قبل الميلاد، كما أشار إلى هذا نقش

صرواح. وهو نقش يوضح لنا كيف أن حروب الملك السبئي **كرب يبين** (في التوراة هو ملك حضور يبين) مع – المخاليف اليمنية، ومنها مخلاف – مملكة دهس (**دهسم** أي يافع) في القرن السادس قبل الميلاد، أي قبل عصر التوراة بنحو **مئة عام**، قد أدّت إلى حدوث تغيّرات دراماتيكية في خريطة القوى القبلية الفاعلة.

وتشير النقوش التي تعرف باسم نقوش منطقة الحد – في يافع – إلى الحروب التي خاضتها قبائل ذو ريدان الحميرية ضد ملوك سبأ عند بداية العهد الحميري. وهذه الحروب أسفرت كما هو معلوم عن إنشاء دولة مركزية في اليمن لأول مرة. وفي مخلاف العود – وهو من مخاليف المناطق الوسطى – ويقع بين **محافظة إب ومحافظة الضالع**، توجد سلسلة جبلية كبيرة من أهم جبالها جبل **ذودان،** وفيه عثر على النقش المعروف باسم **نقش – ذودان. لقد عثر علماء الآثار على نقش دان، هنا في هذا الجزء من اليمن في جبل العود –حيث توجد سلسلة من الحصون مثل حصن «قمران» (وهنا في هذا الحصن استولى علماء الآثار من التيار التوراتي على ما يعرف بمخطوطات البحر الميت وأعادوا زرعها في البحر الميت، وزعموا أن راعياً اكتشفها في كهف قمران). وبحسب وصف النص السابق، يكون الرّب قد عرض على موسى رؤية الأرض الموعودة من (جبل عبريم) حتى دان. وتقع دان اليوم – إدارياً – في محافظة لحج ضمن مديرية الحد، عزلة الحد، حيث نجد هناك قرية تدعى حتى اليوم قرية وادي دان. أما البقعة فهي في محافظة لحج أيضاً**، مديرية المفلحي، عزلة المفلحي، قرية **البقعة.**

لدينا في هذا الإطار نقش يمني مهم للغاية يدعى نقش دان (ويعرف باسم نقش ذو دان) عثر عليه في جبل العود، حيث توجد سلسلة من الحصون

مثل حصن صفوان وحصن «**قمران**»، وحصن الرياشي. ومخلاف العود ينقسم إلى أربع مديريات، وتوجد فيه سلسلة جبلية شاهقة وأماكن أثرية من بقايا الدولة الحميرية. وهذه الجبال تبدأ شرقاً من جبل ناصة ومضرح امتداداً إلى الشمال الغربي للعود، حيث جبل العود **وجبل ذودان**، بالإضافة إلى جبل حدة وجبل العروسة وجبل النبيلة. وفي أواخر القرن العشرين تمكن علماء الآثار من اكتشاف كنز أثري على سفوح جبل العود بينما نجد **صعر** في محافظة **تعز**، ضمن **مديرية المعافر حيث عزلة السواء**، وقرية المكاشح وبالاسم نفسه محلة **صعر**. وبما أن النص يشير إلى أن الأرض تمتد (**إلى صعر**)، فهذا يعني أن المقصود بها صعر التي في **تعز**. في هذا السياق سنجد **رأس فغرة - الفعرى - الفعرة في محافظة تعز، مديرية المسراخ، عزلة مسفر، قرية القرضين، محلة الفغره**. كما نجد موضع **עירהתמרים** (عير - ها - **تمريم**) في صورة **تمرة** في محافظة تعز، مديرية ماويه، عزلة جرانع، قرية جرانع، محلة شجرة **التمر**. أما موضع **هككر הככר** الذي أقامت فيه أسباط أخرى وشاهده موسى، ويترجم في النصّ العربي إلى (**الدائرة**) أو (**المربع**) فليس سوى الهكر - بإسقاط الكاف المضعّفة - ها هنا هكر: **محافظة إب، مديرية العدين، عزلة الجبلين، قرية براحة السفلي، محلة مهكر** (**الميم الحميرية - السبئية أداة تعريف: الهكر**). **وكما قلنا فهذه أراضٍ شاهدها موسى خلال مواسم الحج وقد حرمه الرّب دخولها**. أما **أريحا - يريحو יריח فهي اليوم - إدارياً - ضمن** محافظة أبين في مديرية لودر حيث توجد عزلة جبلية تدعى عزلة زاره وفيها قرية لا تزال تحمل الاسم في صيغته القديمة: **يريح - يريحو** وتدعى اليوم (قرية قو **يريح**). ومديرية لودر ملاصقة للحج.

يبقى أن نتوقف أمام الموقع الأخير: **الجؤة. تقع الجؤة في تعز، ما يعرف قديماً بأرض المعافر ضمن مديرية خدير، حيث توجد عزلة خدير البدو الجبلية، وقرية باسم قرية الجؤة. وفي الجؤة – حسب نص سفر التثنية – دفن موسى وهناك قبره، لكن أحداً لم يعثر عليه لأن القبر اختفى. وبالطبع، فهذه رواية مثيولوجية لها مقاصد دينية واضحة، فهي تعطي اسماً جغرافياً حقيقياً لشخصية غير تاريخية ، أي شخصية دينية لا نملك عن وجودها أي نقش أو أثر مادي.**

الهوامش

(١) كما نجد الاسم في وادي مريب في محافظة البيضاء – مديرية البيضاء – حيث عزلة المظفر الأعلى. هناك سنجد اسم الوادي القديم: وادي مريب (مياه مريبة). وحتى اليوم، هناك قرية في البيضاء تدعى قرية وادي ذي مريب.

مصادر ومراجع

١: النص العبري، **תורה נביאים כתובים כערכית ונגלית** **تورة – نبئيم – كتوبيم – بعبريت – وءنكليت**

THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW

SCRIPTURES 1Rectory Lane.Edgwarte. Middles H A87LF ENGLAND U.

٢: **ريكمنس، نقش النصر – صرواح** ٣٩٤٥ :RES.

٣: **شلومو ساند، اختراع أرض إسرائيل (ترجمة أنطوان شلحت – فلسطين رام الله عام ٢٠١٣)، وأيضاً اختراع الشعب اليهودي (٢٠٠٩ – دار مدار – فلسطين).**

٤: **محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن** [٢٢٤ – ٣١٠ هـ] المحقق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥: الفراء، معانى القرآن.

٦: فرويد، موسى والتوحيد: ترجمة جورج طرابيشي – بيروت – لبنان ١٩٧٧.

٧: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي.

٨: السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك.

٩: مطهر علي الإرياني: نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء -١٩٩٠.

١٠: **نقوش جام:**

Sabaen Inscriptions from Mahram

Bilquis (Marib), Jamme, A.

Johns Hopkins Press (1962)

١١: **جواد عــلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية الجزء الثالث ١٩٨٠م الفصل السبعون أَصنام الكتابات ص ٧٣٨.**

المؤلف

- مفكر وباحث عراقي متخصص في المثيولوجيا (علم الأساطير) ودراسات الكتاب المقدس واللغة العبرية.

- ولد في بغداد عام ١٩٥٢.

- مقيم في هولندا منذ عام ١٩٩٦ ويحمل الجنسية الهولندية.

شارك في مؤتمرات أدبية وفكرية عربية وعالمية منذ عام ١٩٧٤، وحصل على جوائز أدبية وشهادات تقديرية رفيعة.

- فاز مؤلفه (**القدس ليست أورشليم**) بجائزة أفضل كتاب عن القدس **من جامعة القدس ٢٠١٦**.

- فاز مؤلفه (**أبطال بلا تاريخ: المثيولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية**) **بالجائزة الأولى للإبداع الثقافي كأفضل كتاب في الدراسات الأنثروبولوجية** - الإنسانية والمستقبلية، القاهرة ٢٠٠٦ (مؤسسة الشاعر السعودي الراحل ناصر باشراحيل).

- **حاصل على درع الرواد والمبدعين العرب** (مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب - من مؤسسات الجامعة العربية) ٢٠٠٨.

نشر عدداً من المؤلفات في القصة والرواية والأدب والتاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي والعربي والأنثروبولوجيا.

صدر له:

١: **الشيطان والعرش** (رحلة النبي سليمان إلى اليمن) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ١٩٩٦.

٢: **إرم ذات العماد**: البحث عن الجنة – بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ١٩٩٩.

٣: **كبش المحرقة**: نموذج مجتمع القوميين العرب (طبعتان): شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠٠، دار الفرقد – دمشق ٢٠٠٦.

٤: **شقيقات قريش** (الأنساب والطعام في الموروث العربي) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠٠١.

٥: **يوسف والبئر** (أسطورة الوقوع في غرام الضيف) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠٠٨.

٦: **أبطال بلا تاريخ**: المثيولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية (طبعتان) دمشق دار قدمُس للنشر، ٢٠٠٣، والفرقد ٢٠٠٥.

٧: **قصة حب في أورشليم** (غرام النبي سليمان بالإلهة العربية سلمى) دار الفرقد للنشر، ٢٠٠٥.

٨: **الجماهيريات العنيفة** ونهاية الدولة الكاريزمية – دمشق، دار الأهالي ٢٠٠٥.

٩: **الخوذة والعمامة**: موقف المرجعيات الدينية من الاحتلال الأمريكي للعراق - دمشق، دار الفرقد ٢٠٠٦.

١٠: **ما بعد الاستشراق**: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولنياليات البيضاء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٧.

١١: **فلسطين المتخيّلة**: أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان - خمسة كتب) دمشق، دار الفكر ٢٠٠٧.

١٢: **الأسطورة والسياسة** (بالاشتراك مع الباحث الراحل **تركي علي الربيعو**) منشورات دار الفكر - دمشق ٢٠٠٧.

١٣: **العسل والدم**: من عنف الدولة على دولة العنف، دار الفرقد، دمشق ٢٠٠٨.

١٤: **من مجتمع القهوة إلى مجتمع الشاي**: دولة الكانتون القبلي، دمشق، مركز الغد ٢٠٠٩.

١٥: **المسيح العربي**: النصرانية في جزيرة العرب والصراع البيزنطي - الفارسي - بيروت ٢٠٠٩ شركة رياض الريس للكتب والنشر.

١٦: **القدس ليست أورشليم**: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠١٠.

١٧: **الحرب والطائفية** (بالاشتراك مع د. **وجيه كوثراني**) دار الفكر - دمشق ٢٠١٠.

١٨: **غزال الكعبة الذهبي**: النظام القرابي في الإسلام، دار جداول - بيروت ٢٠١١.

١٩: **حقيقة السبي البابلي**: الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن، دار جداول - بيروت ٢٠١١.

٢٠: **المناحة العظيمة**: الجذور التاريخية لطقوس البكاء في الجاهلية والإسلام، دار جداول، بيروت ٢٠١١.

٢١: **إساف ونائلة**: أسطورة الحب الأبدي في الجاهلية، دار جداول - بيروت ٢٠١٢.

٢٢: **المراثي الضائعة** (مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين) دار جداول - بيروت ٢٠١٢.

٢٣: **في ثياب الإعرابي: الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية** - منشورات المجلة العربية - الرياض ٢٠١٢.